الفصل السابع

وراء المعرفة

«وتعرفون الحق والحق يحرركم»

(يسوع الناصرى)

الإجابة عن الأسئلة

لقد تبين أولئك الذين عملوا طويلاً فى ميدان التربية الجنسية أن أبرع موجه لهم فى هذا الميدان إنما هو الشباب الذى يقومون هم بتعليمه. فلابد للمربى من تعديل خططه التى وضعها بعناية ودقة، على ضوء ما يتبينه من رد فعل تلك الخطط فى نفوس الشباب. وكان من أثر ذلك ما يلاحظ من تغير كبير فى الاقتراحات التى يتقدم بها المربون اليوم بالنسبة للاقتراحات التى كانت تقدم منذ عشرين عاماً (وفى بعض الأحيان من أصحاب الاقتراحات السابقة أنفسهم). ويرجع هذا – إلى حد ما – إلى أن الأسلوب التربوى الناجح ينبغى أن يسترشد بالميول التى تصدر عن الأطفال أو الفتيان الذين تستهدف التربية صالحهم وخدمتهم.

فيحسن بنا إذاً وقد عرضنا للخطط المقترحة للتربية الجنسية أن نتريث قبل العمل وفق تلك الخطط حتى يتسنى لنا التعرف على النواحى التى يسعى التلاميذ من تلقاء أنفسهم لمعرفتها والتماس التوجيه بشأنها. ولذا سوف نستعرض فى هذا الباب عدداً من الأسئلة التى ألقاها بنون وبنات من أعمار مختلفة، وسنعرض لإجابات فعلية لفئة صغيرة منتخبة من تلك الأسئلة. ولابد لنا بادئ ذى بدء أن نؤكد أن هذه الاقتراحات ليست إلا أمثلة فقط، وغنى عن البيان أنه لم يقصد بها أن تردد بنصها كما هى؛ فالجواب المطلوب لموقف خاص إنما يختلف حسب مقتضيات ذلك الموقف، وليس فى الإمكان أن نقدم فى هذا المجال أكثر من اتجاه عام كما تفعل «البوصلة» للرحالة تاركة له اختيار طريقه من بين عدد لا يحصى من الطرق والمسالك.

ومع ذلك فهناك أمر تجدر الإشارة إليه لأنه من الأهمية بمكان، هو أنه إذا ما اقتنع الطفل بأنه سيعرف أجوبة أسئلته – وهو ما نرجو أن يكون – فينبغى ألا يشعر قط بأن هناك أسئلة لا يصح له أن يلقيها مهما شعر الشخص البالغ إزاءها بالحرج. وقد يتمنى الشخص البالغ لو أن الطفل لم يوجه إليه مثل ذلك السؤال قط، ولكن لا يمكن أن نحمل الطفل مسئولية الارتباك الذى يقع فيه هذا الشخص. وقد يجوز أن تكون الإجابة ناقصة ولكن

لا يجوز أن تتضمن أفكاراً خاطئة، كما لا يجوز الامتناع عن الجواب أو أن يعطى الجواب مصحوباً بمظاهر السخط أو الاستياء بغض النظر عما قد يكتنف صياغته من صعوبة.

ولما كان من الصعب في كثير من الأحيان أن يفكر الآباء في أفضل الأجوبة إذا اعتمدوا على وحى الساعة، كان من الضرورى الاستعداد لها مقدماً. ومن الجلى أن المرء لا يستطيع أن يقدر جميع الاحتمالات مقدماً؛ بيد أن الأسئلة المدرجة فى هذا الباب قد انتخبت من بين مجموعة كبيرة، ولن يجد القارىء الذى يعمل على الإجابة عنها صعوبات كثيرة لم يكن يتوقعها.

الأسئلة فى المنزل

وأول الأسئلة ذات الصبغة الجنسية يسألها الأطفال عادة قبل التحاقهم بالمدارس، وللطريقة التى يتقبل بها الآباء تلك الأسئلة أهمية كبيرة. والطفل فى هذه السن المبكرة لا يعرف معنى للحياء الزائف ولا للارتباك – هذا ما لم يولدهما والداه – فهو يتحدث عن أعضائه الجنسية بنفس الطريقة التى يتحدث بها عن ذراعيه أو رجليه سواء بسواء. وهو يسأل عن ولادة الأطفال كما يسأل عن عمل صانعى الحلوى. فلو استطاع الآباء أن يضعوا أنفسهم فى قالب عقلى شبيه بعقول الأطفال، فيجيبون عن الأسئلة التى يوجهها الأطفال بنفس الروح التى يوجهها بها هؤلاء إليهم – أى بتلك الروح البريئة الخالصة – لقوى عندنا الأمل فى أن يشب الأطفال وهم ينظرون إلى المسألة الجنسية بحكمة الطفولة؛ أى على أنها جزء طبيعى فى الحياة.

غير أن من السخف أن نزعم أن جميع الآباء فى الجيل الحاضر سيجدون هذا الأمر هينا فيسيرون على هذا المنوال. فالواقع أن كثيرا من أولئك الآباء، بل الكثرة العظمى منهم، لم تجد أسئلتهم فى طفولتهم الإجابات الشافية، فهى إما أجيب عنها إجابات خاطئة أو أهملت ولم يجب عنها على الإطلاق؛ كما أنهم لم يتلقوا التعليم المناسب لهذه المسألة فى المدارس، كما لم يعدوا للزواج أيضا الإعداد المناسب. فلا غرابة إذن – رغم ما يحدوهم من حسن نية متناهية – فى أن يجدوا صعوبة فى توخى الأمانة فى إجاباتهم عن أسئلة أطفالهم بالدرجة التى يرجونها. ولكن الأمر مع ذلك ليس من الصعوبة بالدرجة التى يبدو لهم بها، بل إن الإجابة عن أسئلة الأطفال الجنسية، كما اكتشف الكثير من الآباء، تكاد تشبه حماما باردا. فالمرء قد يتردد عند حافته مأخوذا ولكنه لا يكاد يغطس فى الماء حتى يستشعر الانتعاش والطرب. كما أن استجابة الأطفال لهذه الإجابات طبيعية جميلة لا تدعو إلى الحيرة أو الارتباك، بل إنها لتشعر الوالد نفسه بالطهر.

تركيب الجسم

يبلغ اهتمام الأطفال بأجسامهم وأجسام من حولهم مبلغاً عظيماً فى سنواتهم الأولى، ويدفعهم هذا الاهتمام إلى إلقاء الكثير من الأسئلة التى لها صبغة جنسية، ولكن يجب أن يكون مفهوماً أنهم فى معظم الأحوال لا يكونون مدفوعين إلى توجيه هذه الأسئلة نتيجة ميل جنسى. وتختلف السن التى تلقى فيها مثل هذه الأسئلة اختلافاً كبيراً من طفل لآخر. فقد يبدأ الطفل فى توجيه أمثال هذه الأسئلة فى سن مبكرة لا تتجاوز السنة الثانية أو الثالثة من عمره فى بعض الحالات، وقد لا يوجهها فى حالات أخرى إلا بعد هذه السن بسنوات عديدة. ويحسن أن يجاب عن هذه الأسئلة بطريقة مباشرة لا لف فيها، كما لو كان المرء يجيب عن استفهامات الطفل مثلاً عن قاطرة السكة الحديدية أو الطائرة. وفيما يلى أمثلة لنوع الأسئلة التى يحتمل سماعها:

لماذا أنا لست مثل حامد؟ (سؤال بنت رأت أخاها أثناء الاستحمام)

لماذا لا يوجد لفاطمة مثل هذا؟ (ولد يشير إلى قضيبه)

ما فائدة هذين؟ (ولد أو بنت يشيران إلى الحلمتين على صدر الواحد منهما)

من الواضح أنه يتعذر فى هذه المرحلة – بل ولا يحسن حتى وإن كان ممكناً – أن يلقى على الأطفال شرح مفصل لثنائية الجنس أو الصفات الجنسية الثانوية. فللإجابة عن السؤال الأول يكتفى فى هذه المرحلة (مؤقتاً) بما يلى:

لأن حامد ولد وأنت بنت.

وتكون إجابة السؤال الثانى هكذا:

ليس للبنات قضيب، وإنما لهن فرج بدلاً منه.

نعم إن هذه الإجابات لا تشرح موضوع السؤال بالمرة وهى لا تحتاج إلى كثير من المنطق القوى لدحضها، فما هى فى الواقع إلا مجرد تعليمات، ومع ذلك فالراجح أن الطفل فى هذه المرحلة لا يحتاج إلى أكثر من مثل هذه التعليمات التى تشمل الصفات التى يلاحظها فى شخص معين هو شخصه بالذات عادة.

أما السؤال الثالث فإن الإجابة عنه تختلف بحسب ما إذا كان صاحبه بنتا أو ولدا. فإذا كان بنتاً كان الجواب كالآتى:

عندما تكبرين ويكون لك طفل، فإن ثدييك سوف يصنعان لبناً فيستطيع الطفل أن يشربه.

وإذا كان ولداً يمكن أن يقال له:

ليست لها فائدة فى الواقع.

لن تسير الأمور بطبيعة الحال على هذا النحو من البساطة دائماً، ولن يقنع الأطفال دائماً بجواب من جملة واحدة، إذ كثيراً ما يثير الجواب سؤالا آخر، وقد يترتب على ذلك حديث مسهب ومناقشة طويلة. ومع ذلك فليس فى الإمكان وضع قواعد ثابتة للإجابة لأن الجواب يختلف في كل موقف بحسب مقتضيات ذلك الموقف. وغاية ما يمكن تقديمه من نصح فى هذا المجال هو تحاشى خلق جو من الارتباك، ثم إشباع رغبة الطفل فى الاستطلاع دون فرض لمعلومات تفصيلية على الطفل لا يستطيع أن يهضمها فى حين أنه لا يرغب فيها.

وهناك أسئلة شبيهة بما سبق يوجهها الأطفال عند ملاحظة الاختلاف بين الجنسين فى طريقة قضاء الحاجة. وقد تكون أسئلة صريحة كما قد تكون مجرد عبارات يرددها الأطفال وتخفى ورائها تساؤلا، فينبغى أن تعالج على هذا الاعتبار. أما الفروق بين الجنسين فيلاحظها الأطفال الذين ليس لهم إخوة أو أخوات من الجنس الآخر قد لا يشيرون إلى هذا الموضوع حتى يختلطوا بغيرهم (من الجنس الآخر) فى المدرسة. وفيما يلى بعض الأسئلة أو التعبيرات الأنموذجية فى هذا الصدد:

لماذا تجلس سوسن عندما «تطرطر»؟ (من ولد إلى شخص بالغ)

لماذا لا يجلس حامد على «سلطانية» المرحاض؟ (من بنت إلى شخص بالغ)

أوه، ما هذا الذى عندك هنا؟ (من بنت إلى ولد مشيرة قضيبة)

وينبغى أن يجاب عن هذه الأسئلة بما يتفق وميول الطفل الطبيعية، أى بالإشارة إلى عملية التبول لا إلى الوظيفة الجنسية. فمن الممكن أن يجاب عن السؤالين الأول والثانى بطريقة سهلة بسيطة هكذا:

هذه هى الطريقة التى تتبول بها البنات.

لأن الأولاد يتبولون وهم وقوف.

أما السؤال الثالث فيحسن إذا سمعه شخص بالغ أن يتدخل فى المحادثة ويعلق على السؤال تعليقا عارضا هكذا:

هذا؟ أوه، إنه يسمى «قضيب». للأولاد «قضيب» بدلا من الفرج.

وفى هذه الحالة أيضا لا يمكن أن تعتبر هذه الإجابات «شرحا» للأسئلة، وقد تؤدى إلى مزيد من الاستفهامات. والمهم فى الأمر هو أن يحس الطفل بأنه ليس فى ميوله هذه شىء غير مرضى عنه وأن يشعر بأن أسئلته تلقى ترحيبا.

منشأ الأطفال

معظم الصغار يفرحون بالأطفال ويهتمون بمنشئهم اهتماما بالغا. وقد يرددون مثل هذا السؤال التقليدى بشكل يبدو تلقائيا:

من أين يأتى الأطفال؟

ولكنه غالبا ما يصدر بعد سلسلة من الاستفهامات التى ترتبط بحادث معين مثل ولادة طفل عند الجيران. وهاك مثالا لهذه المحادثة:

– ماما، إن سميحة تقول إنه قد جاءهم طفل جديد!

– أحقا هذا؟ ما أبدعه!

– نعم، وهى تقول إنه سمين جدا. وقد أتى فى الأسبوع الماضى.

– أوه، أحقا هذا؟

(وتعقب هذا فترة سكون قصيرة)

– ماما، سميحة تقول إن الطبيب أحضره فى حقيبته.

– هل قالت لك ذلك؟ وهل تظنى أنت ذلك؟

– أنا لا أعرف! (فترة سكون) من أين يأتى الأطفال يا ماما؟

وفى أحيان أخرى يأتى هذا ا سؤال بمناسبة ولادة أحد الحيوانات المنزلية، فيدور الحديث على النحو التالى:

– بابا، تعال وانظر فى ركن القطة. لقد أتت بثلاث قطيطات جميلة! وهى صغيرة جدا.

– أحقا هذا؟ تعالى لنرى (ويفحص الأب قطيطة منها) نعم هى جميلة. أليست كذلك؟

– نعم، ومن أين تظنها أتت بهم يا بابا؟

– أوه، لقد نمتهم هى.

– أنمتهم هى يا بابا؟ ولكن كيف؟

– لقد نمت هذه القطيطات فى داخلها حتى أصبحت كبيرة بدرجة مناسبة للخروج فخرجت.

(فترة سكون يفكر الطفل خلالها)

– وهل تنمو الكلاب الصغيرة داخل أمهاتها أيضا؟

– نعم، بالطبع.

– وكيف تأتى صغار الحمير؟

– إنها تولد أيضًا بنفس هذه الطريقة.

(فترة سكون أخرى)

– والأطفال الحقيقيون يا بابا كيف يولدون؟

ولكن مهما يكن من أمر الموقف الذى ينشأ عنه السؤال، ينبغى أن يجاب عنه بنفس البساطة والسهولة التى ألقى بها. فيصح أن تكون الكلمات التى تستخدم فى الجواب كما يلى:

– الأطفال؟ إنهم ينمون داخل أمهاتهم.

هذا الجواب قد ينهى الموضوع مؤقتاً. ومع ذلك فثم طفل آخر قد لا يقنع بهذا القدر فيذهب إلى أبعد من ذلك. وأيا كان المستوى الذى يصل إليه الطفل، ينبغى أن يكشف له عن الحقيقة. وهاك مناقشة واقعية لطفل فى الخامسة من عمره.

– فى أى مكان فى الداخل؟

– هنا.. (الأم تشير إلى بطنها) فى مكان يسمى «الرحم».

– أوه! يا للعجب! (فترة سكون يفكر الطفل أثناءها فى الأمر)

– طيب يا ماما، لكن كيف يصل الطفل إلى هناك؟

– لقد قلت لك إنه ينمو هناك.

– لكن من أى شىء ينمو؟ لابد أن ينمو من شىء ما.

– نعم! بالطبع لابد أن ينمو من شىء ما. من أى شىء تظنه ينمو؟

(يبدو الطفل كأنما قد ارتج عليه)

– طيب، من أين تنشأ الكتاكيت؟

– أوه، إنها تنشأ من البيض.

– وكذلك الأطفال بالمثل ينشأون من بيض ضئيل صغير الحجم. والفرق الوحيد بين الحالين هو أن البيض يفقس داخل جسم الأم بدلا من أن يوضع خارجاً.

– ماما، هل نشأت أنا داخل جسمك؟

– نعم يا حبيبى، بالطبع أنت نشأت داخل جسمى. كل الأطفال ينشأون داخل أجسام أمهاتهم.

– طيب، وهل نشأت من بيضة؟

نعم.

– أوه! يا للعجب!

وعند هذا الحد وقف الموضوع لفترة ما.

وبعد مدة بسيطة قد تتجدد محادثات أخرى تتعلق بحياة الطفل قبل ميلاده كما يلى على سبيل المثال:

– كيف يتغذى الطفل قبل أن يولد؟

– إنه يحصل على غذائه من دم أمه.

– طيب، وكيف يحصل عليه؟

– إنه لا يحصل عليه من طريق الفم على أية حال. فهو لا يستطيع أن يأكل أو يشرب قبل أن يولد. وإنما يدخل الطعام فى بطنه. انظر هذا هو المكان الذى يدخل منه. (وتشير الأم إلى سرة الطفل).

وهناك سؤالين يمكن الإجابة عنهما على نمط واحد وهما:

– كيف يتنفس الطفل وهو ينمو داخل أمه؟

– كيف (يطرطر) الطفل قبل أن يولد؟

والأسئلة المتعلقة بعملية الولادة شائعة أيضا. وإن ما يكتنف هذه المسألة من سوء فهم (مثل الاعتقاد بأن الولادة تحدث عن طريق جدار البطن أو عن طريق المستقيم) تبين ضرورة الاهتمام بإيضاح أجوبة الأسئلة المتعلقة بهذه النقطة إيضاحا وافيا. وفيما يلى مثل لمحادثة من هذا القبيل:

– كيف يخرج الطفل عندما يصبح مهيأ للميلاد؟

– أوه، إنه يخرج من فتحة توجد بين رجلى الأم، وهى تسمى فتحة الفرج

– نعم، لكن كيف يعرف أن وقت ولادته قد حان؟

– هو لا يعرف ذلك فى الحقيقة، ولكنه عندما يكبر بدرجة كافية يصبح رحم الأم صغيرا بالنسبة له، فلا يوجد له متسع فيدفع للخارج.

– ولكن كيف تعرف الأم أن وقت الولادة قد حان؟

– تستطيع الأم الإحساس بأن الرحم آخذ فى الصغر.

– أوه! يا للعجب!

الألفاظ والتعبيرات التى يستخدمها الطفل

ربما خامر الشك بعض القراء فى حكمة استخدام بعض المصطلحات العلمية فى الإجابات المقترحة فيما سبق، إذ كثيراً ما يظن أن الأسماء الصحيحة للأعضاء الجنسية بعيدة كل البعد عن مدارك الأطفال الصغار. ولكن الواقع هو أن عدم ألفة الكبار لهذه الكلمات نسبياً هو الذى يؤدى إلى هذا الظن. ولسوف يعتاد الطفل فى سن الثانية أو الثالثة ذكر «قضيبه» دون أدنى صعوبة إذا داوم أبواه على استخدام هذه الكلمة. أما التصنع فى استخدام الألفاظ جرياً وراء التأدب فى الحديث فغالباً ما يكون سبباً فى زيادة المصاعب الحقة. فالكلمات والمصطلحات العلمية مثل الخصية والكيس أو الفرج والسرة والحلمة والثدى ألفاظ سهلة يمكن أن يألفها الطفل فى مرحلة مبكرة. وكلمة يتبول ليست بعيدة عن إدراك الطفل فى سن الخامسة وهى ليست أصعب من كلمة (يطرطر) وهى أيضاً كلمة يستطيع الطفل فى سن الخامسة أن يتعلمها بسهولة.

وليس معنى هذا أن الحكمة تقضى «دائمًا» بضرورة استخدام الكلمات العلمية وبخاصة إذا كانت الكلمات (العامية) المتداولة سهلة ويمكن الاستعاضة بها عن الكلمات العلمية. بيد أن المبالغة فى تقدير صعوبة استخدام الكلمات العلمية بلغت درجة كبيرة مما أدى فى كثير من الأحيان إلى الاستعانة بضروب مختلفة من الكلمات المسماة «البديل السهل» للكلمات العلمية. ومن ذلك أن نستبدل بكلمة «رحم» كلمة «عش» أو «بيت» وبكلمة «منى» وبكلمة «خصية» كلمة «بذرة» و «كيس البذرة».

ومن العسير علينا أن نتبين لهذا العمل أية ميزة على الإطلاق. فليست الكلمات البديلة بأسهل لفظاً من الكلمات العلمية وإنما هى قمينة بأن تنقل إلى الأطفال معانى خاطئة لابد من تصحيحها فيما بعد. فالأطفال الصغار يفكرون تفكيراً حسياً أى متصلاً بالواقع تماماً، ولذا فإن فكرة «العش» بالنسبة لهم ترتبط بشىء تبنيه الطيور من غصون الشجر والطمى وما إليها ويوجد بين فروع الشجر، وفكرة «عندهم هى بناء من الطوب والملاط ذو أبواب وحجرات وسقف وربما يكون له مدخنة يتصاعد منها الدخان أيضاً؛ وأما فكرة «البذرة» فهى إما بذرة البرتقال أو البطيخ أو العنب أو القطن. والواقع أن عقل الشخص البالغ هو الذى يقدر على ابتكار المعانى المجردة التى تسمح مثلاً باستخدام كلمة «هش» أو كلمة «بيت» للدلالة على معنى خاص هو «مكان أمين» واستخدام كلمة بذرة للدلالة على «شىء ينمو تحت ظروف مناسبة». والمسألة لا تخرج عن هذا فيما يتعلق «بكيس البذرة» وغيرها من الألفاظ الكثيرة المصطنعة التى تسمى ألفاظاً مبسطة. فلماذا إذن تفرض المعانى المجردة التى تبتدعها عقول

الكبار البالغين على الأطفال ذوى العقول التى لا تعرف غير المحسوسات؟ إنه لمن الأفضل جدا أن تساعد الأطفال منذ البداية على أن يألفوا المصطلحات العلمية.

وظيفة الأب

من الأمور الطريفة أن الأطفال يبدون اهتمامهم بعمليات التزاوج والإخصاب والحمل والولادة بعكس ترتيبها الطبيعى الذى تحدث به، فيسألون فى أول الأمر عن عمليات الولادة ثم الحمل على نحو ما أسلفنا. ولكنهم لا يسألون عن دور الأب فى هذا العملية إلا فى مرحلة متأخرة، وعندئذ يتطلبون إيضاحا لعملية الإخصاب والجماع.

وتتوقف كمية المعلومات التى يمكن أن تعطى لهم بطبيعة الحال على الظروف الخاصة التى أدت إلى توجيه السؤال وعلى مستوى النضج الفكرى والوجدانى والاجتماعى للطفل. ومن الخطأ أن ننتهز فرصة سؤال بسيط يوجهه الطفل لنلقى على مسمعه محاضرة فى علم الأحياء. والواقع أن بعض نماذج الإجابات المطبوعة والتى تنشر فى هذا الموضوع إنما توحى بأنها إجابات عن أسئلة امتحان وليست إجابة عن استفهامات أطفال صغار. ولعل الخطر الذى ينجم عن إعطاء الطفل معلومات تزيد عن حاجته يعتدل الخطر الذى ينجم عن إعطائه قدرا أقل كثيرا مما يلزم، وربما كانت أسلم الخطط هى أن يعطى الطفل الإجابات مختصرة موجزة، ثم تترك له مهمة متابعة الموضوع بمزيد من الأسئلة التى توصله إلى المستوى الذى يرغب فيه. وهاك محادثة تكاد تكون أنموذجا فى بابها لطفل فى سن السادسة يخاطب أمه:

– «ماما»، لماذا يكون للأطفال آباء؟

– دعنا نرى، أترى تحب أن تكون بغير أب؟ أترغب فى ذلك؟

– لا، لكن ما فائدتهم؟. أعنى لماذا يلزم أن يكون لكل واحد «بابا»؟

– ذلك لأن الأم لا تستطيع أن تنجب طفلا بمفردها. أتعرف هذا؟ فالأب لابد أن يساعد فى ذلك.

– أحقا يساعد الأب فى ذلك؟ لقد كنت أظن أن الطفل ينشأ من بيضة.

– نعم، هذا هو الواقع. لكن بيضة الأم لا تنمو إلا إذا جعلها «بابا» تنمو.

– إن «بابا» يكون هو أيضا أشياء صغيرة مثل البيضة، ولكنها ضئيلة الحجم جدا لا تستطيع العين أن تراها، وهى تسمى المنى أو الحيوانات المنوية. والبيضة لا تبدأ فى النمو حتى يندمج واحد من منى «بابا» ببيضة من «ماما»، ولهذا فلابد أن يكون للأطفال آباء.

– أوه، لقد فهمت.

لن تصل المناقشة فى بعض الأحيان إلى هذا المستوى ولكنها قد تصل فى أحوال أخرى إلى أبعد من هذا المستوى. ومهما يكن الأمر فينبغى بصفة عامة ألا تقف دون إشباع رغبة الطفل العاجلة فى الاستطلاع، وألا تتعدى هذا الحد. إلا أن الوقف س،وف يأتى - إن آجلا أو عاجلا - حين لا يمكن تحاشى الخوض فى مسألة الجماع. وقد يكون ذلك عند شرح عملية الإخصاب أو قد يكون فى فرصة أخرى بعد هذه المناقشة بمدة طويلة. وعلى كل حال فإن السؤال قمين بأن يصدر بطريقة ما فى إحدى المناسبات. وينبغى أن يكون الطفل قد ألف معظم المصطلحات والتعبيرات العلمية الضرورية، فإذا كان الأمر كذلك فإن المناقشة قد تسير على النحو الآتى:

- طيب.. وكيف يعطيها واحدا من هذا المنى؟

- هذه قصة طويلة نوعا ما. هل تعرف أين تصنع الحيوانات المنوية؟

- كلا! أين تصنع؟

- إنها تصنع فى خصيتى الأب، ثم تمر إلى قضيبه (مع الإشارة إلى الأعضاء المذكورة إذا كان السائل ولدا، ومع وصف مواضعها إذا كانت بنتا).

- نعم، لكن كيف تصل إلى البيضة؟

- طيب، ماذا تظن أنت؟ أين توجد البيضة؟

- نعم بالطبع. ولذلك فلابد من أن يوضع الحيوان المنوى داخل الأم أيضا. فيضع «بابا» قضيبه أقرب ما يكون من جسم «ماما» - وهناك فى الواقع فتحة خاصة ليضعه فيها، وهذه الفتحة تسمى «المهبل» (مع الإشارة إلى موضعه أو وصفه إذا لم يكن معروفا بعد) وبعد ذلك تمر الحيوانات المنوية من قضيب «بابا» إلى «مهبل» «ماما» وتعوم فيه حتى تقابل البيضة.

تعوم فيه؟ وكيف يمكنها أن تعوم؟

أوه، إن لها ذيولا صغيرة تشبه ذيول أبى ذنيبه فهى تعوم بها.

نعم، ولكن فى أى شىء تعوم؟

انظر، يوجد ماء فى فمك، أليس كذلك؟ وفى المهبل أيضا يوجد مثل هذا، نعم لا يوجد فيه ماء كثير ولكنه كاف للحيوانات المنوية فهى ضئيلة الحجم جدا.

إن هذه المحادثة لم تحدث بالفعل وإنما هى مؤلفة موضوعة، ويندر أن تتضمن المحادثة الواحدة فى الواقع كل هذه المعلومات التفصيلية وإنما تتوزع فى الغالب على فترة من الزمن تطول كثيرا فى بعض الأحيان. ولكن الشرح والإيضاح الذى تتضمنه يمكن استخدامه بوجه عام فى معظم الأحوال.

يقال أحيانا إنه يجب أن يقوم الأب بإجابة مثل هذه هذه الأسئلة للأولاد، بينما تقوم الأم بالإجابة للبنات. ولكن إذا كان هذا مرغوبا فيه (وهو أمر مشكوك فيه) فإن الأطفال أنفسهم لا يؤمنون بهذه النظريات التربوية، وقد يلقى الولد أو البنت السؤال لأحد الوالدين دون تمييز، وإذا ما صدر السؤال فلابد له من جواب.

الطريقة البيولوجية

ربما كان من اللازم أن نذكر شيئا عن الطريقة البيولوجية، أى الاستعانة بعلم الأحياء فى الإجابة عن أسئلة الأطفال.

يجد كثير من الآباء، عندما يواجههم أطفالهم بالاستفهام عن وظيفة الأب، أنهم مرغمون على اللف والدوران حول السؤال (ويرجع هذا فى كثير من الأحيان إلى خوف لا شعورى من تسمية الأشياء بمسمياتها) فيشرعون فى الكلام عن التزاوج فى الضفادع وعن النحل ونشاطه فى نقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى. ولكن الطفل لم يسألهم عن الحيوانات البرمائية[1]، ولا عن النباتات الزهرية، وإنما قصر سؤاله على بنى البشر - وله الحق فى أن يتوقع إجابة عن سؤاله بالذات، ولاشك فى أن توجيه انتباهه إلى العمليات الجنسية عند سؤاله بالذات، ولاشك فى أن توجيه انتباهه إلى العمليات الجنسية عند الكائنات الحية الأخرى أمر ينبغى أن يحدث بين آن وآخر، ولكن ينبغى ألا يكون ذلك قط بدلا عن الإجابة عن أسئلته التى يوجهها.

وكثيرا ما تكون هذه الطريقة طبيعية تماما. ومن أمثلة ذلك طفل يشكو إلى أحد والديه من أن البيض الذى يضعه الدجاج الذى يربونه لا ينقف ليعطى أفراخا جميلة مثلما يحدث للبيض الذى يبيضه دجاج جيرانهم؛ أو ذلك الطفل الذى يلاحظ البستانى وهو يعفر زهرة أنثية «لتلقيحها» بحبوب لقاح زهرة ذكرية، أوذلك الذى يلاحظ التزاوج بين حيوانات الحقل أو الحيوانات المنزلية. هذه المواقف وأمثالها تتيح الفرصة لإيضاح النقط التى يلاحظها الطفل، وتهيىء السبيل لشرح التناسل فى الإنسان، وهى ذات قيمة كبيرة بنوع خاص فى حالة الطفل الذى تأخر فى توجيه الأسئلة المباشرة. وينبغى أن يكون الطفل قد ألم بهذا القدر من المعلومات الأساسية إذا ما وصل إلى سن العاشرة، ويجب لذلك تشجيع الأطفال المتأخرين على توجيه الأسئلة المناسبة فى هذا الصدد دون أن يكون فى هذا فرض أو إملاء عليهم.

---

(١) هى الحيوانات الضفدعية وهى حيوانات تعيش فى الماء طورا من حياتها تتنفس أثناءها بالخياشيم كالأسماك ثم تنتقل إلى الأرض عند اكتمال نموها حيث تتنفس بالرئتين.

الأسئلة فى الفصل

ولا يقتصر أمر الأسئلة على المنزل، فمن المحتمل أن يوجه الأطفال أى سؤال من الأسئلة السابقة فى المدرسة، سواء أكانت مدرسة حضانة، أو روضة أو مدرسة ابتدائية، ويجب أن تعالج الأسئلة بنفس الطريقة التى تعالج بها لو ألقيت فى البيت سواء بسواء. ولكن المشكلة الرئيسية فى الفصل هى أن بعض التلاميذ، ولاشك، يكونون قد تلقوا بعض المعلومات الخاطئة فى بيوتهم مثل خرافة العثور على الوليد فى الشارع أو عند الباب الجامع وما إلى هذا. لذا فإن الإجابة فى الفصل تستدعى المزيد من الحيطة واللباقة. ومن المتعذر أن تعد قوائم خاصة بالأسئلة التى يلقيها الأطفال حسب أعمارهم لأن مقدار المعلومات ومستوى النضج العقلى والوجدانى والاجتماعى عند الأطفال يختلف اختلافا كبيرا من فرد لآخر. لهذا فإن بنتا فى العاشرة من عمرها قد تسأل أسئلة تعرف الإجابة عنها بنت فى الخامسة، وربما كانت المشكلات التى تشغل تفكير صبى فى الرابعة عشرة من عمره نظير المشكلات التى تشغل بال آخر فى الثامنة عشرة. وهذا يعنى وجوب مراعاة الحكمة عند إجابة الأسئلة فى الفصل وفى بعض الأحيان يلقى الطفل سؤالا يكشف لزملائه أنه على درجة من الجهل تجعله فى موضع السخرية بالنسبة إليهم ما لم يبد المدرس العطف اللازم عليه ويجيبه بطريقة توحى بأن السؤال معقول وليس على السائل مأخذ فى توجيهه.

وقد يكون بالفصل طفل على درجة كبيرة من المعرفة أو أكثر نضجا من تلاميذ فصله، فإذا ما سأل هذا التلميذ سؤالا يعلو مستواه عن مستوى تلاميذ الفصل، وأجيب عنه إجابة تامة كما ينبغى فلربما أدت هذه الإجابة إلى تفتح التلاميذ قبل الأوان، وربما يكون الأنسب فى مثل هذه الحالة أن يكون جواب السؤال سطحيا سريعا فى أول الأمر ثم ينتهز المدرس الفرصة المناسبة ليكمل الإجابة لصاحب السؤال على انفراد.

وقد نصادف طفلا تأثر فى باكورة حياته بما يجعله يقاوم الحقائق الجنسية فإذا ما ذكرت له حقيقة الموضوع استنكرها بصورة انفعالية. مثل هذا الطفل ينبغى أن يكون محل عناية خاصة، فلا يرغم قهرا على التخلى سريعا عن المعلومات الخاطئة التى يرتاح إليها حتى لا يؤدى ذلك إلى إيقاع الأذى به. وثمة مثل جيد لعلاج مثل هذه الحالة، فقد كان أحد المدرسين فى مدينة نيوكاسل يقرأ لتلاميذ فصله (وهم ما بين التاسعة والعاشرة من عمرهم) قصة عن السنجاب جاء فيها أن السنجاب وأليفته أخذا فى بناء عشر لهما لأنهما كان يعلمان أن أطفالهما على وشك الولادة، وإذا بطفل يتوجه إليه بالسؤال قائلا:

الطفل – كيف تأتى صغار السنجاب؟

المدرس – من داخل أمها، كما جئت أنت تماما.

(وكان الطفل صاحب هذا السؤال يعرف هذا، وكنت أنا أدرك أنه يعرف، ولكنه كان يحاول أن يستدرجنى).

الطفل – وهل لابد أن يقطع الطفل من أمه لكى يخرج منها؟

(يبدو أن هذه المسألة تقلق كثيرا من الصغار).

المدرس – كلا، فإنه للخارج.

الطفل – وهل خرج رأسى أولا؟

المدرس – نعم، حدث هذا فى الغالب.

(وعندئذ قفزت إحدى التلميذات وبحركة مرحة أحنت رأسها وكتفيها لتبين لأفراد الفصل كيف يولد الطفل).

وسرعان ما قال طفل آخر: أما أنا فقد وجدت تحت «حامل الملابس» ثم تسلقت بنفسى حتى فراش ماما.

المدرس – حقا؟ لقد كانت هذه الطريقة مختلفة عن الطريقة العادية!

وكان بقية أفراد الفصل يستمعون إلى هذه المناقشة، وقد قابلوا إجابة المدرس بقبول حسن، ولم يعلقوا عليها، ثم واصلوا الاستماع إلى قصة السنجاب.

هذا حال الأطفال الصغار، أما فيما يتعلق بالأطفال بعد سن العاشرة، فهم – كما يقول الخبيرون فى هذا الميدان – على استعداد لأن يلقوا بسيل من الأسئلة إذا ما أطمأنوا إلى أن استفهاماتهم ستلقى اهتماما مناسبا. وما لم يصلوا إلى هذه الحالة من الاطمئنان فلن يحرزوا فيها من التقدم فى هذا الاتجاه إلا أقله. ولاشك أن هذا الفيض من الأسئلة قمين بأن تخف وطأته فى مستقبل الأيام، وذلك عندما يتزايد إقبال الآباء على إشباع الرغبة الطبيعية لأطفالهم فى استطلاع الأمور الجنسية، ولكن ينبغى فى الوقت الراهن أن نتوقع مثل هذا الإقبال الشديد وهذا السيل من الأسئلة. وقد يشعر من يستمع إلى أسئلة الأطفال هذه أن بعضها تأخر عن موعده المناسب وأن بعضها سابق لأوانه بعدة سنوات، ومع ذلك فلابد من الإجابة عنها طريقة ما. وكثيرا ما تكون الأسئلة بعيدة الغور حقا، وليس من المتوقع أن يعرف المدرس أو الوالد الإجابة عنها جميعا. ولما كان من العبث أن يحاول المرء أن يستر جهله، لأن الأطفال سرعان ما يكتشفون حقيقة الأمر، فإن الحكمة تقضى فى مثل هذه الظروف أن يعترف المرء بالأمر الواقع فيقول لمن يسألونه: «آسف، لأنى غير واثق من الجواب الصحيح» ثم يضيف على الفور: «ولكنى سأحاول أن أعرف وأخبركم فيما بعد». إن الاعتراف صراحة بعدم المعرفة لا يعرض سمعة الشخص للانهيار بالدرجة التى يفعلها الادعاء الكاذب بالعلم. وقد لوحظ دائما أن الأطفال تزيد ثقتهم ويقوى تصديقهم للردود التى تلقى عليهم إذا كان الشخص الذى يجيبهم لا يتردد فى الاعتراف بجهله عندما يعجز عن الرد.

والمدرس الذى يلم بكل شىء والذى لا تضطره الظروف أحيانا إلى الاعتراف بعدم المعرفة لم يوجد بعد؛ لأنه وإن كان من السهل أن يلم الشخص العادى الذكاء بالحقائق الجنسية الرئيسية فى الإنسان إلماما مناسبا، فإنه من الصعب حتى على الشخص المتخصص فى علم الأحياء أن يكون قادرا على الإجابة عن جميع الأسئلة المتعلقة بالتناسل فى الكائنات الحية الأخرى. غير أن الحكمة تقضى بأن نأخذ للأمر أهبته ونستعد له على قدر الإمكان. وسوف نذكر فيما يلى بعض الأسئلة فى هذا الموضوع ألقاها أطفال تتراوح سنهم بين التاسعة والرابعة عشرة:

- كيف تتناسل الحيتان؟

(أو الديدان، الفيلة، الزرافة، السمك، الثعابين، السلاحف، الطماطم، الحشائش.. إلخ).

- هل للأبقار حبل سرى؟

- لماذا لا تقدر البغال أن تنجب صغارا؟

- هل تموت الأميبا كما يموت الناس؟

- لماذا تضع الدجاجة مثل هذا العدد الوفير من البيض؟

(الدجاجة المنزلية بالنسبة إلى الطيور البرية)

- هل تحيض الحيوانات؟

- كيف يلد الحيوان صغاره دون مساعدة خارجية؟

(أى دون طبيب أو قابلة)

- من أين يخرج صغار الحيوانات من ذوات الأربع؟

- كم من الوقت تمضى القطط الصغيرة فى النمو داخل أمهاتها؟

(أو الكلاب والأبقار والجاموس والفئران إلخ)

- عندما يمتطى الكلب ظهر أنثاه هل ينقل إليها المنى؟

- هل من الممكن أن يتزاوج الكلب والقط؟

- هل يقوم الإنسان بالجماع فى الربيع مثل الحيوانات الأخرى؟

– هل تضع الأبقار بيضا، وإلا فكيف تنجب صغارها؟

– ما هى البقرة العاقر؟

– ما هو «الطلوقة»؟

هذه الأسئلة وأشباهها يلقيها الأطفال من الجنسين فى مختلف الأعمار. والمدرس الذى يتحمل مهمة البحث عن أجوبة هذه الأسئلة التى يخدم تلاميذه فحسب وإنما سيرتاد تبعا لذلك ميدانا رائعا للدراسة والكشف.

تعبيرات غير ناضجة

يجب أن نتوقع أن يصوغ الأطفال أسئلتهم فى عبارات مضحكة أو مثيرة للدهشة أو النفور. وهى ليست كذلك إلا فى ظاهرها فقط، وذلك راجع إلى قصور معرفة الطفل بالمفردات اللغوية، وإلى عدم تمكنه من صياغة كلامه صياغة جيدة، فينبغى أن نقبل منه ذلك ونأخذه مأخذ الجد، وأن نتحاشى أى مظهر أو علامة تدل على السخرية أو الاستياء. وربما كان من المفيد أن نورد بعضا من هذه الأسئلة التى ألقيت بالفعل حتى يعرف المشتغلون حديثا فى هذا الميدان ما يتوقعون سماعه، وسوف نضع المعنى المقصود بالسؤال فى حالة غموضه بين قوسين، وهذا المعنى قد وصلنا إليه بمناقشة الطفل الذى ألقى السؤال:

– كيف يمنى الزوج زوجته؟ (بنت سنها ١١ +)

– ما الذى يسبب ولادة الطفل ميتا؟ (ولد سنه ١٣ +)

– لماذا يعتبر الزواج رابطة مقدسة؟ (بنت سنها ١١ +)

(لماذا يرتبط الزواج – وهو عملية بيولوجية – بالدين، ولماذا يعتبر الجماع دون زواج خطأ).

– كيف ينتقل المنى إلى الأنثى؟ هل يلزم لذلك حركات خاصة؟

(ولد سنه ١٤ +)

(بقصد هل الجماع مجرد وضع القضيب فى المهبل، أم تصحبه حركة ذهاب وإياب؟)

– ما الذى يسبب تصلب الأوردة الدموية فى القضيب؟ (ولد سنه ١٣ +)

(المقصود بالتصلب انتفاخ الأوردة)

– ما الدور الذى يؤديه الذكر لزيادة النسل؟ (ولد سنه ١٣ +)

(لم يكن من المستطاع استخلاص المعنى المقصود بالسؤال على وجه الدقة، إذ يبدو أن السائل كان غامضا، ولكن الظاهر أنه لم يكن يدرك تماما أن التوالد البكرى[1] لا يحدث فى الإنسان).

– هل يمكن أن ينشأ الطفل من تلقاء نفسه، أم لابد أن يقع لذلك إخصاب؟

(المقصود هو: ألا يحدث التوالد البكرى فى الإنسان على الإطلاق؟)

– كيف يولد العجل؟ هل تنظر البقرة نظرة فلا يكون له وجود وتنظر بعد دقيقة فإذا به موجود؟ (بنت سنها ١٠ +)

(المقصود بهذا السؤال مجموعة معقدة من الأسئلة – كم من الوقت تستغرق البقرة فى عملية الولادة؟ كيف تضع دون مخدر أو طبيب أو قابلة.. إلخ؟ لماذا تبدو البقرة وادعة هادئة بعد مجىء العجل؟ وكيف يكون العجل مكتمل النمو بعد ولادته بزمن قليل إذا قورن بالوليد من بنى الإنسان؟)

– هل هناك أوقات معينة يستطيع الذكر فيها فقط أن يخصب الأنثى كما هو حال الأنثى؟ (بنت سنها ١٣ +)

(أى هل هناك عملية دورية لإفراز المنى تقابل دورة الحيض؟)

– لماذا يولد بعض الأطفال (مضحكين)؟ (ولد سنه ١٣ +)

(المقصود الضعف العقلى)

– لماذا تلازم النعومة والطراوة بعض الرجال؟ (ولد سنه ١٣ +)

(لماذا يتصف بعض الرجال بصفات وجدانية أميل إلى الأنوثة)

– إذا لم تنجب المرأة طفلا، هل من الممكن أن يعمل لها شىء؟ (ولد سنه ١٣ +)

(المقصود هل يمكن أن يعالج العقم عند المرأة؟)

– هل يمكن أن يموت الطفل مخنوقا أثناء ولادته؟ (بنت فى سن ١٢ +)

(المقصود التفاف الحبل السرى حول الوليد)

– هل يعجزك أن تكون مزدوج المفصل؟ (ولد فى سن ١٣ +)

(السائل كان يدرك أن الجماع كثيرا ما يتضمن حركات تميل إلى العنف، ولكنه كان يظن أن القضيب فيه عظم، وكان يتساءل كيف أن شخصا يتركب قضيبه من جزأين مفصليين ينجح فى العملية الجنسية ويظل قضيبه متصلبا)

---

(١) نوع من التناسل يحدث فى بعض الحيوانات المتأخرة فى سلم التطور مثل حشرة المن والنمل – ولا يحدث فيه إخصاب.

وربما كان لزاما علينا وقد أوردنا الأسئلة على النحو السابق أن نسوق تحذيرا مناص منه، وهو أن التفسيرات التى ذكرت مع الأسئلة، إنما هى التفسيرات التى استخلصت من أصحاب الأسئلة فيما سبق. ولا يترتب على هذا أن الأسئلة التى قد يضعها غير هؤلاء الأطفال فى نفس ذلك الأسلوب لابد أن تحمل نفس المعنى المذكور سابقا فى جميع الأحوال. وإنما ينبغى للمدرس أن يستخلص المعنى الذى يرمى إليه السؤال وذلك باستكشاف كنه الموقف فى كل حالة على حدة، ثم يقوم، على هدى ذلك، بوضع الجواب المناسب للمقام.

الخزعبلات والخرافات

إن خزعبلات العجائز عن الأمور الجنسية والتناسل مازالت تجد من يصدقها على نطاق واسع وهى تدعو إلى الدهشة حقا. وإن كثيرا من الأسئلة التى تلقى كل عام – سواء فى مدارس المدن أو فى الريف – تعبر عن هذه المعتقدات أو أشباه المعتقدات أصدق تعبير. وإن ما يتطلبه مثل هذا الموقف فى العادة هو إنكار المزاعم الفاسدة فى إيجاز ثم توضيح الحقيقة، ولكن الأمر قد لا يكون سهلا ميسورا فى كل حالة من الحالات. ففى بعض الأحيان تكون مثل هذه الآراء راسخة لدرجة أن الشرح الذى يقوم به المدرس لا يلقى قبولا أو لعله يقبل شكليا مع تحفظات فكرية واضحة المعالم. ويتوقف التصرف الذى يقوم به المدرس على مبلغ خطورة الخطأ. فإذا كان أمرا قليل الأهمية فيكفى أن يهز المدرس كتفيه ويقول: «حسنا! إن ما أخبرتك به هو الحقيقة». وربما تكون هذه الطريقة هى أبسط طريقة للتخلص من الموضوع والانتقال إلى شىء أكثر أهمية، أما إذا كان الرأى الفاسد من الخطورة بحيث يؤدى إلى أذى نفسى أو إلى سلوك ضار، فإن الحكمة تقضى بأن يكرس المدرس له قدرا وافرا من الوقت ولا يهدأ له بال حتى يستأصله تماما.

وثمة مجموعة من هذه الأفكار الخاطئة تتعلق بعملية الحمل، ورغم أن هذا يدعو إلى دهشة بعض الناس إلا أنه مازال هناك أطفال يعتقدون أن الحمل قد يحدث نتيجة لعمليات غير جنسية. ويتضح هذا الاعتقاد من الأسئلة الآتية: –

– هل يحدث الحمل عندما يقبل الرجل والمرأة بعضهما بعضا؟ (بنت سنها ١٣ +)

– هل إذا خرجت المرأة مع الرجل لمجرد النزهة، أيمكن أن تنجب طفلا؟

(بنت سنها ١٢ +)

– هل تحمل المرأة لمجرد مضاجعتك إياها؟ (ولد سنه ١٣ +)

(ولعل هذا الخلط راجع إلى التعبيرات الأدبية التى تقول ضاجع الرجل المرأة بمعنى جامعها).

وثمة قسم آخر من الخرافات يتعلق بفترة الحمل وما يقال من أن خبرات الأم فى هذه الأثناء تؤثر فى الطفل. وفيما يلى أمثلة لهذا الضرب من الأسئلة:

– إذا ألم بالحامل حادث ما، فهل يؤثر هذا فى الطفل؟ (بنت ١٣ +)

– ماذا يحدث إذا حدثت صدمة للمرأة وهى حبلى؟ (ولد، ١٣ +)

– لماذا يحدث أحيانا إذا أصيبت الأم بضربة أو صدمة أن يولد الطفل

بتلك العلامة فى نفس الموضع الذى حدث للأم؟ (بنت، ١٣ +)

(وبالإضافة إلى هذا فهناك الأسئلة الكثيرة التى تتعلق بأصل العلامات التى توجد فى جسم الوليد)

والقسم الثالث من الأسئلة، التى تدل على سوء الفهم، يتعلق بالحيض، وأغلب الأسئلة التى تفصح عن الأفكار الخاطئة فى هذا الموضوع يأتى من البنات بطبيعة الحال. وهاك نموذجا من سؤالين سألتهما بنتان تتراوح أعمارهما بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة:

– أمن الصحيح أن اللحم يتلف ويتعفن إذا أمسكته المرأة فى فترة الحيض الشهرى؟

– إذا بلغت الفتاة السادسة عشرة قبل أن يبدأ الحيض الشهرى، فهل يذهب الدم إلى الرأس وتصاب بالدرن الرئوى؟

وفى حالة الأولاد بنوع خاص، تكثر الأسئلة التى تعبر عن الأفكار الخاطئة عن الأضرار المزعومة للاستمناء، فكثيرا ما يلقى الأولاد أمثال هذه الأسئلة وكذا المتعلقة بالقذف المنوى. أما البنات اللائى فى مرحلة الدراسة فلا تقلقهن العادة الشهرية إلا نادرا. وسوف نذكر فيما يلى بعض الأسئلة التى دأب كثير من التلاميذ على توجيهها فى هذا الموضوع، ومما لاشك فيه أن المدرس إذا تولى هذا الأمر بالشرح المناسب مقدما فإن هذه الأسئلة تقل إلى درجة ملحوظة:

(هذه أسئلة سألها أولاد تتراوح أعمارهم ما بين ١٣ و ١٥ سنة).

– هل ممارسة العادة السرية تسبب فقدان الدم؟

(أو ضياع القوة – ونقص الوزن إلخ)

– هل يؤدى الاستمناء إلى الجنون؟

(وبالمثل الدرن، الأمراض التناسلية، الشلل، بتراث الوجه إلخ)

إذا مارست هذه العادة فهل تكون قادرا على الزواج؟

وكثيرا ما يخطئ التلاميذ فى التمييز بين الاستمناء والقذف الليلى، فمن الضرورى إذن التحقق مما يقصده التلميذ قبل الإجابة عن سؤاله.

وبالمثل نجد أن الأمراض التناسلية موضع لقدر كبير من سوء الفهم والشك والقلق. وكبار الأطفال هم بطبيعة الحال أكثر من يهتم بمثل هذه الأسئلة، إذ أنهم - والأولاد منهم بنوع خاص - لا يكادون يتخطون العاشرة من عمرهم حتى يسمعوا عن هذه المواضيع ما يحفزهم إلى توجيه الأسئلة. ومن الأمثلة الأنموذجية لهذه الأسئلة ما يلى:

- هل يمكن أن تصاب بمرض تناسلى نتيجة لعضة جمل؟
- هل يمكن أن يشفى (المرض التناسلى) بالصلاة؟ (هكذا)

(يبين هذا السؤال عن جهل وخلط كبير بهذا الموضوع يتلخص فى أن المرض التناسلى يؤدى إلى الإفراز عن طريق القضيب، والاستمناء هو إفراز عن طريق القضيب أيضا، وهو بهذا يخلط فى معنى الاستمناء باليد، ومن ثم يقترف إثما فى حق الله، وعليه فيحتمل أن تؤدى الصلاة إلى الشفاء).

ونحن نرجح أن سنوات عديدة قد تنقضى قبل أن تمحى هذه الخرافات وينقطع دابرها من المجتمع تماما فلا تظهر فى داخل الفصل بصورة أسئلة كالتى سبقت الإشارة إليها. ومع ذلك فمن المأمول أن تتعاون التربية المنزلية والمدرسية على اقتلاعها من جذورها بحيث يتزعزع سلطانها على النفوس فى الأجيال القليلة المقبلة.

الزواج والحمل والولادة

من غير الممكن أو المرغوب فيه أن يحاول المرء فى داخل فصله الدراسى أن يسهب فى شرح موضوعات التزاوج والإخصاب والحمل من شتى نواحيها؛ بيد أن الأطفال كثيرا ما يسألون عن التفاصيل. والواقع أن هذه الأسئلة تكون فى كثير من الأحيان نتيجة لمجرد الرغبة الفكرية فى الاستطلاع دون أن تصحبها أية دوافع وجدانية. وكل ما يتطلبه الأمر فى هذه الأحوال أن يذكر الجواب بطريق مباشر بحيث يتضمن الحقائق المطلوبة ليس إلا، ومن أمثلة ذلك الأسئلة التالية (وهى لبنات تتراوح سنهن بين ١١ و ١٣ سنة):

- إذا قمت بعملية الجماع فكيف تعرفين أنك سوف تنجبين طفلا؟
- ماذا تأكل الأم خلال التسعة الأشهر؟
- ما هى الأطوار التى يمر بها الأطفال قبل أن يولدوا؟

(هذه الأسئلة لأولاد فى سن ١٣ +)

- لماذا لا يولد الناس عن طريق الخروج من بيض؟

(المقصود بيض يوضع وينمو فى الخارج)

- إذا اتصل رجلان بامرأة واحدة، فكيف يعرف الأب؟
- إذا كانت المرأة تدخن وتتناول مشروبات روحية فهل يؤثر هذا فى الطفل؟

(وفيما يلى أسئلة لبنات ما بين سن ١٣ و ١٥)

- فى أى وضع يحدث الإخصاب؟
- ماذا تعنى بالوليد الذى لم يكتمل أشهره؟
- هل تنجب المرأة طفلا فى كل مرة تجامع فيها الرجل؟
- ماذا يحدث للمرأة التى تجامع الرجل أثناء الحمل؟
- هل يدخل الحيوان المنوى فى الأنثى أثناء فترة الحمل؟
- ماذا يحدث إذا لم توجد البويضة ليخصبها الحيوان المنوى؟
- هل يعرف الذكر ما إذا كانت الأنثى حاملا؟
- ما هو الوقت الذى يستغرقه الحيوان المنوى فى الوصول إلى البويضة؟
- هل يتحرك الطفل داخل الرحم؟

ويبدو أن الأطفال فى كثير من الأحوال لا يفطنون إلى وجود فروق فردية بين الناس وبخاصة فيما يتعلق بالأعضاء والعمليات الجنسية. وتدل أسئلتهم فى كثير من الأحيان على اعتقادهم بأن جميع الناس تتساوى أعضاءهم التناسلية فى الحجم وعلاقاتهم الجنسية من حيث عدد المرات وطول المدة فى كل مرة.

ومن أمثلة هذه الأسئلة ما يلى:

(أسئلة لبنات فى سن ١١ +)

- ما هى المدة التى تستغرقها عملية الجماع؟
- كم مرة ينقل الذكر الحيوانات المنوية، وكم من الوقت يستغرق ذلك؟

(أسئلة لأولاد فى سن ١٣ +)

- ما المدة التى يلزم أن يبقى فيها القضيب داخل المهبل؟
- إلى أى درجة ينمو القضيب؟
- ما طول المهبل؟

(أسئلة لبنات فى سنة ١٣ +)

– ما المدة التى يستغرقها الذكر فى نقل الحيوانات المنوية للأنثى؟

– كم مرة يحدث الجماع قبل أن تخصب البويضة؟

والحق أن إعطاء إجابات قاطعة عن مثل هذه الأسئلة أمر غير ممكن، فالأفراد متفاوتون لكل كيانه الخاص به، وبالتالى فهم يختلفون عن السلع المتماثلة التى تنتجها المصانع بالجملة. وإنما تكون الإجابة المناسبة عن مثل هذه الأسئلة بتوضيح هذه الحقيقة مع تقدير مدى الاختلاف بين الأفراد، وبأنه لا يوجد معيار واحد تنطبق عليه جميع الحالات.

وتدل الأسئلة التى يوجهها تلاميذ المدارس الثانوية أن ما تلقوه من شرح عن طريقة الولادة إنما يعوزه الوضوح. فهم قد يدركون مثلا أن الطفل ينمو داخل أمه، ولكن ليس لديهم أقل فكرة عن تركيب الأعضاء التناسلية للأنثى ولا عن الطريق الصحيح الذى يمر منه الطفل عند الوضع. ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذا الغموض يسبب للأطفال كثيرا من القلق، فيحاولون إكمال النقص فى معلوماتهم بإطلاق العنان لخيالاتهم التى تتجاوز الحد. وكثيرا ما تكون هذه التخيلات أوهاما غير سارة تبعث عن الخوف والفزع. وهناك ثلاثة أخطاء شائعة فى هذا الصدد، أحدها أن الولادة تحدث عن طريق المستقيم، والثانى أنها تحدث عن طريق المسالك البولية، والخطأ الثالث هو أن الولادة تحدث عن طريق السرة. وسوف نورد فيما يلى أمثلة لأسئلة وجهها بعض البنات فى سن الثالثة عشرة، مع ملاحظة أن صيغة السؤال كانت تختلف أحيانا من بنت إلى أخرى رغم اتفاق مضمونها:

– هل حقا يخرج الطفل عن طريق الأمعاء؟

– هل يولد الطفل من نفس الطريق الذى يفرز منه الماء الزائد عند التبول؟

– إذا كان الوليد يخرج من المعدة فهل يلزم القيام بخياطتها وعمل بعض الغرز فيها؟

(ملحوظة: هذا السؤال يبين أن المعلومات التى تلقتها الفتاة عن والديها تتميز بالدقة الفائقة، وقد استبدلت فيها «المعدة» «بالرحم» مع حذف التفصيلات المتعلقة بالولادة).

وقد يسأل الأولاد أيضا أسئلة من هذا الطراز، ولكن الأمر لا يكون مصدر قلق لهم طبعا كما هو فى حالة البنات. ولو قد ألقيت الدروس المناسبة فى هذا الموضوع فى المدرسة لما كان لمثل هذه الأسئلة وجود على الإطلاق، لأن الشرح فى هذه الحالة يكون من الوضوح بحيث يقضى على كل لبس أو سوء فهم. ولسنا فى حاجة إلى القول بأن التفصيلات الدقيقة ليست مناسبة، ولكن ينبغى على الأقل أن يتضمن الشرح كيف أنه بانقضاء شهور الحمل التسعة، يبدأ الرحم فى سلسلة من التقلصات على فترات، وتزداد شدة هذه التقلصات بالتدريج حتى تدفع بالطفل

من فتحة الرحم إلى المهبل ومنه إلى الخارج. كما ينبغى أن نذكر أن الحبل السرى يربط بعناية ثم يقطع، أما مسألة «الخلاص» فلا تحتاج إلا إلى شرح بسيط.

هذا فى الغالب هو كل ما يحتاج الأمر إليه من معلومات تقال فى الفصل، ورغم ذلك ينبغى أن يكون المرء على استعداد لمزيد من الأسئلة، وفيما يلى نموذج منها:

– كيف يعرف الطبيب أن الطفل على وشك الخروج؟

(هذا السؤال لبنت جاوزت سن ١١)

– عندما تظن المرأة أنها على وشك الولادة فمتى ترقد فى الفراش؟

(هذا السؤال لبنت جاوزت سن ١٣ سنة)

– هل تتكون بالطفل فى بطن أمه مواد متخلفة (للإخراج)؟ وإذا كان كذلك فكيف يتخلص منها؟ (هذا السؤال لبنت جاوزت سن ١٣ عاما)

– كم من الوقت تستغرق عملية الوضع؟ (هذا السؤال لبنت جاوزت ١٣ عاما).

بأى جزء من الأم يتصل الحبل السرى للطفل؟ (هذا السؤال لولد جاوز ١١ عاما).

– ما هى الاستعدادات التى تتخذ عند ولادة طفل؟ (هذا السؤال لبنت جاوزت ١٣ عاما).

– هل يلزم أن يصفع الطفل عند ما يولد؟ (هذا السؤال لولد جاوز ١٢ عاما).

– أى جزء من الطفل يولد أولا؟ (هذا السؤال لولد جاوز ١١ عاما)

– ماذا يحدث إذا خرج الذراع أولا؟ (هذا سؤال لبنت جاوزت ١٢ عاما)

– أحقا ما يقال من أن الطفل يولد أحيانا فى كيس؟ (هذا السؤال لولد جاوز ١٣ عاما).

(ملحوظة: فى الغالب يقصد الغشاء الأمنيونى وهو الغشاء الداخلى الذى يحيط بالجنين).

– ما الدور الذى يقوم به الطبيب فى ولادة الطفل؟ (هذا السؤال لبنت جاوزت ١٣ عاما).

– هل للتخدير أثناء الوضع فائدة أو ضرورة؟ (هذا السؤال لبنت جاوزت ١٣ عاما).

وكثيرا ما يظهر الكثيرون اهتماما بالغا برعاية الطفل بعد الولادة، وخاصة بتغذيته عن طريق الثدى، أى بالرضاعة. وتصدر الأسئلة عن هذا الموضع كما هو متوقع، من البنات بنوع خاص، ولكن هذا لا يعنى أن الاهتمام بهذا الأمر مقصور على البنات وحدهن، فإن الأولاد أيضا يبدون اهتماما بهذا الموضع. ومن الأسئلة النموذجية ما يلى:

(أسئلة لبنات من ١٣ – ١٥ سنة).

– كيف يتكون اللبن الذى يتغذى منه الأطفال فى الثدى؟

– ما هى المدة التى يلزم فيها أن يتغذى الطفل من لبن الثدى؟

– هل تستطيع الأم أن تشعر بفراغ ثدييها؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف تعرف ذلك؟ (أسئلة لأولاد جاوزا سن الثالثة عشرة).

– كيف ترضع الأم ثلاثة توائم أو أربعة؟

– ألا تفرز حلمة ثدى الرجل لبنا على الإطلاق؟

وحرى بمن يتصدى فى المدرسة للإجابة عن مثل هذه الأسئلة أن يشجع ما يشعر بـه معظم الأولاد والبنات من ميل نحو صغار الأطفال، وأن يرسم لهم صورة واضحة عن حاجة الطفل الصغير إلى والديه وعن الغبطة والسرور اللذين يسببهما لهما. نعم، قد لا يكون لهذا الجهد أثر مباشر فى سلوكهم، ولكنه قد يساعد بمضى الزمن على تدعيم إيمانهم بقيمة الحياة العائلية.

الوراثة وولادة التوائم

ويبدى معظم الأطفال اهتماما بمشكلات الوراثة، يدلنا على هذا الاهتمام ما يوجهونه من فيض الأسئلة عن هذا الموضوع. ومن الممكن أن يجاب عن عدد كبير من تلك الأسئلة إذا كان المسؤول ملما إلماما ولو يسيرا بعلم الوراثة. ولكن بعضها بعيد الغور ومنها ما يحير حتى الشخص المتخصص فى علم الأحياء. وهاك بعض أمثلة لتلك الأسئلة:

– لماذا تأتى القطيطات الصغيرات فى كثير من الأحيان مغايرة لأمها؟ (لبنت جاوزت الحادية عشرة).

– ما الذى يجعل الأطفال شديدى الشبه بوالديهم؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة)

– لماذا ينجب بعض الناس العاديين أطفالا على درجة من الضعف العقلى؟ (لبنت جاوزت الرابعة عشرة).

– هل يورث الدرن؟ (لولد فوق سن الثالثة عشرة)

(وبالمثل: السرطان – الأمراض التناسلية – ضعف العقل.. إلخ)

– كيف أكون شبيها بأبى فى حين أننى نشأت ونموت داخل أمى؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة)

والواقع أنه يستحيل على من يتصدى للإجابة عن مثل هذه الأسئلة أن يأتى بإجابة شافية دون أن يسهب فى شرح الصبغيات والجينات[1] التى هى أساس الوراثة. ومن الممكن فى حالة الأطفال الصغار أن تقرب هذه العملية لفهمهم بالالتجاء إلى تشبه حسى كالآتى:

يمكننا أن نشبه (الخليتين الجنسيتين) بصندوقين يحتوى كل منهما على كيس (هو النواة)، وفى كل كيس عدد كبير من الخيوط (الصبغيات) وفى كل خيط عدد من الخرز (الجينات).

---

(١) وهى أجزاء فى نواة الخلية تحمل صفات الكائن التى يرثها الخلف عن السلف.

نحن لا ننكر أن هذا التشبيه، كغيره من التشبيهات، لا يبلغ حد الكمال، ومع ذلك فقد ظهر أنه يساعد التلاميذ على تصور عملية الوراثة، وبخاصة إذا استعين بنماذج حسية. ولعل أهم النقط التي يحسن الإشارة إليها هي أن الوالدين يساهمان على قدر المساواة في الصفات الوراثية للطفل، وأن الأم لا يمكن أن تؤثر على الصفات الوراثية في الطفل بأكثر من هذا، ولو أن صحتها قد تؤثر في نموه عن طريق تأثيرها في الوسط الذي يعيش فيه قبل أن يولد، وأن بعض الأمراض وبعض حالات الشذوذ فقط هي التي يمكن أن تورث.

وثمة صفة وراثية يتردد ذكرها في أسئلة الأطفال تلك هي مسألة تحديد الجنس. ومن أسئلتهم في ذلك ما يأتي:

- كيف تنمو البيضة إلى ولد أو بنت؟ (لبنت فوق سن الثالثة عشرة)
- هل يمكن للأم أن تختار ما تريده سواء كان ولدا أو بنتا؟ (لبنت فوق الحادية عشرة).
- هل يمكن معرفة ما إذا كان الطفل ولدا أو بنتا قبل أن يولد؟ (لولد فوق الثالثة عشرة)
- لماذا تنجب بعض النساء بنين فقط بينما تنجب الأخريات بنات فقط؟ (لولد فوق الثالثة عشرة).

وهناك كثير من الأباطيل الشائعة إلى حد ما حول هذا الموضوع، ومن أمثلة ذلك (أن المبيضين ينتجان بيضة ذكرية ثم أخرى أنثية على التوالي)، ولذا فمن اللازم الاستيثاق من صحة الفهم ووضوحه في هذه الناحية.

وتعد ولادة التوائم من الأمور التي لا تفتأ تثير الاستطلاع. والاستطلاع في هذا الموضوع يتجه نحو النوعين من التوائم، وإلى «توأمي سيام»[1] وإلى ولادة التوائم الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة، ويود الأطفال لو عرفوا كل شيء عن هذا الموضوع. وحيث أن رغبتهم في الاستطلاع لا يخالطها أي انحراف أو سقم، بل هي رغبة سليمة تماما، فينبغي أن تكون الإجابة عن أسئلتهم شافية وافية تساير قدرات التلاميذ ومعلومات المدرسين. وفي أغلب الأحيان تكون قدرات المدرسين هي العامل الذي يقرر مدى ما يقدم إلى التلاميذ من شرح في هذا الموضوع. وفيما يلي بعض نماذج الأسئلة التي تبين ما نتوقعه منها في هذه المسألة:

(أسئلة لبنات فوق سن الحادية عشرة)

- ماذا يحدث حتى ترزق المرأة بالتوائم؟
- كيف يكون وضع التوائم في الرحم؟
- هل يمكن معرفة ما إذا كانت المرأة ستلد توائم؟

---

(١) توأمان ملتصقا الظهر.

- لماذا لا يولد التوائم فى بعض الأحيان معا؟
- ما الذى يجعل التوائم كبيرى الشبه بعضهم ببعض؟

(ملحوظة: هذا ينطبق فقط على التوائم الذين ينتجون من بيضة واحدة).

- ما الذى يجعل التوأمين ولدين أو بنتين؟

(ملحوظة: نفس حالة السؤال السابق).

(أسئلة لأولاد فوق سن الثالثة عشرة)

- ما الذى يسبب تكوين توأمى سيام؟
- كيف تنجب بعض النساء أربعة توائم؟
- كم طفلا تستطيع المرأة أن تنجبهم فى المرة الوحدة؟
- هل يمكن أن تنجب البقرة أكثر من واحد؟
- ما الحيوان الذى ينجب أكبر عدد من الصغار فى المرة الواحدة؟

(أسئلة لبنات جاوزن الثالثة عشرة)

هل يلزم ضعف كمية الحيوانات المنوية لإنجاب التوائم؟

- كيف يمكن أن تتكون التوائم إذا كان لا ينطلق فى كل شهر أكثر من بيضة واحدة؟
- عند تكون التوائم، هل يسبح حيوانات منويان فى المهبل ويلقحان بيضتين؟
- نرجوك أن تحدثينا عن التوائم الخمسة.

الحيض وقذف المنى

ونحن نتوقع أن يكثر البنات من السؤال عن الحيض، غير أن الأولاد يسألون أيضا عن هذا الموضوع. وعادة يكون الدافع الذى يدفع الصبى والفتاة - قبل مرحلة البلوغ - إلى توجيه الأسئلة فى هذا الموضوع مجرد رغبة عامة نحو الاستطلاع الفكرى، أما الفتاة التى وصلت إلى سن المراهقة فعلا فإن أسئلتها بطبيعة الحال تكون أقرب إلى الناحية الشخصية والعملية. ومن أمثلة هذه الأسئلة ما يلى:

(أسئلة لبنات جاوزن الحادية عشرة)

- ما معنى الدم الشهرى، وما الذى يسببه؟فى أى سن يبدأ؟
- وفى أى سن تنتهى العادة الشهرية؟
- كيف تعرف البنت أنها على وشك أن تبدأ هذه العملية لأول مرة؟

(أسئلة لأولاد فوق الحادية عشرة)

- لماذا تتوقف هذه العادة الشهرية؟

(المقصود هو انقطاع الحيض فى سن اليأس).

- هل تحيض المرأة وهى حامل؟

(أسئلة لبنات بين ١٣ و ١٥ سنة)

- ماذا تعمل الفتاة إذا كانت العادة الشهرية غير منتظمة؟

- لماذا لم تكن العادة الشهرية تحدث عندى بانتظام كل ثمانية وعشرين يوما فى أول الأمر؟

- إذا حدثت لفتاه آلام قاسية أثناء العادة، فماذا تفعل؟

- لماذا تفقد المرأة فى حياتها هذا القدر الكبير من الدم؟

- ما أفضل أنواع المناشف الطبية؟

- ما معنى «الإفرازات البيضاء»؟

- هل يضير الفتاة أن تتزوج فى نفس الأسبوع الذى تأتيها فيها العادة؟

- عندما يقال للفتاة إنها ينبغى أن تغير المناشف بانتظام، فماذا يقصد بهذا الانتظام؟

عند الإجابة عن الأسئلة الخاصة بموضوع الحيض ينبغى ألا يغرب عن البال ما تكون البنات قد سمعنه من أفواه العجائز من الأقاصيص الشنيعة فى هذا الموضوع، فيجب الاهتمام بالقضاء على هذه الترهات. ثم إن كثيرا من الفتيات يشعرن نوعا ما بالضيق والتبرم من المتاعب التى كتب على بنات جنسهن أن يتحملنها. ولذلك فمن اللازم بذل أكبر جهد فى تشجيعهن على الترحيب بمقدم الحيض على أنه إعلان بالاقتراب من النضج ومن الغبطة التى تبعثها القدرة على إنجاب الأطفال. وثمة فرصة يمكن استغلالها لإزالة ما قد تشعر به الفتيات من تميز بين الجنسين، وتسنح هذه الفرصة عند الإجابة عن أسئلة معينة. وقد أوردنا فيما يلى مثلا لهذه الأسئلة ونموذجا للإجابة عنه:

سؤال - هل للرجال أية دورة شهرية مثل النساء؟ (لبنت فوق الثالثة عشرة)

جواب - ليس للرجال طبعا عادة شهرية، لأنهم لا يستطيعون إنجاب الأطفال ولذلك فالحيض غير لازم لهم، ولكن كما أن البنات يبدأن فى تكوين البيض ويبدأ لهن الحيض إذا ما بلغن السن المناسبة، فإن الأولاد يبدأون فى تكوين الحيوانات المنوية، فتتكون منها الملايين، ومنذ ذلك الحين يفيض المنى (السائل الذى يحوى الحيوانات المنوية) وينصرف خارجا. ويحدث هذا عادة فى الليل، ولذا فإن هذه العملية تسمى «الاحتلام الليلى»؛ ولكنه لا يحدث بانتظام فى كل شهر، بل يحدث فى فترات غير منتظمة على أى وجه من الوجوه، فقد يحدث أسبوعيا أو كل أسبوعين وهكذا.

وتعتبر الأسئلة الخاصة «بالاحتلام الليلى» نادرة إذا قورنت بالأسئلة الأخرى عن الحيض. ويمكن أن تكون الإجابة عنها مباشرة إلى حد كبير، ومع ذلك فيحدث أن تكون فى بعض الأحيان مقنعة أو متخفية. ومن أمثلة ذلك قولهم:

– هل يحدث لك ضرر إذا ابتل جلباب نومك؟ (لولد جاوز سن الثالثة عشرة).

– أمن العيب أن يضطر الواحد منا إلى تغيير «بيجامة» نومه؟ (لولد جاوز الرابعة عشرة).

ومن الممكن أن يجاب عن الأسئلة السابقة كلها إجابة عامة (حتى ولو كان الفصل مختلطا). ولكن إذا كان السؤال ينطوى على أهمية خاصة لفرد ما أو لمجموعة من الأفراد بالذات فإن الحكمة تقضى بإعطاء إجابة سطحية للفصل فى مجموعه، ثم يعالج السؤال باستفاضة فيما بعد مع الفرد أو مجموعة الأفراد الذين يعنيهم الأمر بالذات.

سن الأبوة والأمومة

كثيرا ما توجه الأسئلة الخاصة بسن الوالدين عند مناقشة الموضوعات التناسلية فى الإنسان. ويمكن تقسيم هذه الأسئلة إلى أقسام ثلاثة: أولها خاص بالحد الأدنى لسن الأبوة أو الأمومة. ولعل أخبار الصحف التى تشير فى بعض الأحيان إلى حالات حمل مبكرة فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة أو أصغر من ذلك، لعلها من الأمور التى تضفى على المشكلة بعض الواقع. ومن أمثلة هذه الأسئلة ما يأتى:

– هل تصبح البنت قادرة على إنجاب الأطفال حالما تبدأ عادتها الشهرية؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

(ملحوظة: إن بداية تكون البيض قد تتأخر كثيرا عن الحيض).

– هل يمكن إنجاب طفل قبل بداية العادة الشهرية؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

– ما هو العمر الذى يجب أن تبلغه البنت لتنجب طفلا؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

– ما هو العمر الذى يجب أن يبلغه الذكر ليصبح قادرا على إخصاب بيضة داخل جسم الأنثى؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

(ملحوظة: قد لا يحتوى السائل المنوى على حيوانات منوية فى المراحل الأولى من المراهقة).

أما القسم الثانى من الأسئلة فإنه يتعلق بالحد الأعلى للسن. ومما يدفع بهم إلى توجيه مثل هذه الأسئلة هو معرفتهم لانقطاع الحيض فى سن اليأس عن المرأة، ورغبتهم فى معرفة ما إذا كان ثمة حال تقابلها عند الرجال. ومن أمثال هذه الأسئلة ما يلى:

– هل يمكن للمرأة أن تنجب طفلا بعد سن الأربعين؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

– لماذا لا تنجب العجائز أطفالا؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة)

– هل يهرم الرجل لدرجة يعجز معها عن إنجاب أطفال؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

أما القسم الثالث فيتعلق بأنسب عمر لإنجاب الأطفال، وفيما يلى أنموذج لسؤال من هذا القبيل:

– ما أنسب عمر تنجب فيه المرأة طفلا؟

وينبغى أن تكون الإجابات عن مثل هذه الأسئلة واقعية فى أساسها ولكن هناك نقطتين ينبغى أن تكونا موضع الاعتبار عند الإجابة. فمن الأهمية بمكان – عند شرح قوة الفرد على الإنسان حالما تنتج المبايض أو الخصيتان الخلايا التناسلية (أى فى السنوات التالية لسن العاشرة) – أن نشير فى وضوح وجلاء إلى أن الجسم فى مجموعة لا يتم نضجه إلا بعد ذلك بعدة سنوات، وأنه من غير المرغوب فيه على أية حال أن ينجب الناس أطفالا قبل أن يبلغ نموهم البدنى الدرجة المناسبة. ذلك لأنهم بدون ذلك لن يتاح لهم من الزمن ما يكفى لتوسعة أفقهم وجمع المعرفة والخبرة، أو للنضج الوجدانى، أو الوعى الاجتماعى؛ بل لن يظفروا بتلك الحياة الخلية قليلة الأعباء والهموم التى يستمتع بها الشباب فى مرحلة المراهقة وأوائل سن البلوغ. أما النقطة الثانية التى ينبغى أن تكون موضع الاعتبار فهى أن كثيرا من البنات يعتقدن أن انقطاع الحيض هو نهاية كل شىء فيما يتعلق بالحياة الجنسية، لهذا كان من الخير (إذا كان الفصل ناضجا لدرجة كافية يستطيع معها أن يقدر قيمة الناحية الجنسية فى الحياة الإنسانية بغض النظر عن التناسل) أن توضح لهن أن الأمر ليس كما يتصورن.

المخاوف المرضية

يتضح من أسئلة كثير من الأطفال أنهم، نتيجة لما قد يترامى إلى مسامعهم من أحاديث الكبار، يجزعون أشد الجزع من احتمال الأضرار أو الآلام التى تحدث بوجه خاص فى أثناء العملية الجنسية والحمل والولادة. وتنتشر هذه المخاوف، كما هو المتوقع، بين البنات أكثر من انتشارها بين البنين، ولكنها مع ذلك ليست مقصورة عليهن وحدهن. والأسئلة الآتية أمثلة لما يلقى من أسئلة فى هذا الموضوع:

(أسئلة لبنات بين ١١ و ١٣ عاما).

– هل الاتصال الجنسى بين شخصين يسبب ألما؟

– هل تتألم المرأة عندما يكون القضيب داخل المهبل؟

(ملحوظة: يبدو أن كثيرا من الأطفال ينظرون إلى العلاقات الجنسية على أنها أمر يفرضه الرجل قهرا على المرأة، لا على أنها استمتاع متبادل).

– هل العادة الشهرية شديدة الإيلام؟

– هل خروج المولود مؤلم لأمه؟

– هل يتألم الطفل عندما ينقبض الرحم ليدفع به إلى الخارج؟

(أسئلة لأولاد جاوزا الثالثة عشرة)

– هل ولادة الطفل مؤلمة؟

– هل العلاقة الجنسية مؤلمة للمرأة؟

– لماذا تموت بعض الأمهات عند الوضع؟

– هل يمكن أن يحدث تمزق نتيجة للعملية الجنسية؟

– ماذا يحدث إذا توقفت الخصية عن أداء وظيفتها؟

(أسئلة لبنات بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة)

– لماذا تتقايأ النساء فى حالات الحمل؟

– هل تتألم الأم خلال شهور الحمل التسعة؟

– ما هى الآلام التى تحسها الأم عند الوضع؟

إن المهمة الأولى عند الإجابة عن مثل هذه الأسئلة هى إزالة المخاوف والقلق. فيجب أن يطمئن الطفل ويهدأ باله وبخاصة فى حالة البنت. غير أن الزعم بأن إنجاب الطفل أمر لا يتسبب عنه أى ألم إنما هو زعم بعيد عن جادة الصدق والأمانة، وحاله فى ذلك حال المغالاة فى ذكر الأخطار التى قد تنجم عنه. ولذلك كان من الخير أن تكون الإجابات صادقة ومطمئنة فى نفس الوقت. والإجابات التالية هى أمثلة للرد على السؤال الأول من المجموعات الثلاث السابقة:

١ – هل الاتصال الجنسى بين شخصين يسبب ألما؟

– كلا وايم الحق! ولكن ما الذى جعلك تقولين هذا؟ عندما يكبر اثنان من الناس وتجمعهما رابطة الزواج والحب يجامع أحدهما الآخر، لأن الجماع يسبب لهما سعادة فائقة بالإضافة إلى رغبتهما فى إنجاب الأطفال، ولا يترتب على عملية الجماع أى ألم لها على الإطلاق.

٢ – هل ولادة الطفل مؤلمة؟

– نعم إنها تسبب بعض الألم عادة. ولكن الطبيب بطبيعة الحال يعنى بالأم عناية كبيرة، فإذا ما زاد ألمها أعطاها مسكنا يوقف الألم، مثلما يعطيك طبيب الأسنان مخدرا خاصا أو حقنة لتسكين الألم عند خلع الأسنان. فالولادة تسبب بعض الألم لأن فتحتى الرحم والمهبل يجب أن تتمددا لتتسعا لخروج الطفل. ولكن الأم عندما ترى وليدها المنتظر فإنها تحس بأن الألم كان يسيرا فى سبيله.

٣ – لماذا تتقايأ الأمهات أثناء الحمل؟

(يقصدن ما يلازم حالات الوحم).

– إنهن لا يمرضن فى الواقع دائما. فإذا كانت الأم سليمة، ولا تسرف فى القلق، فهى كثيرا ما تحس عند الحمل بأن حالتها الصحية أفضل من ذى قبل. وفى بعض الأحيان يضغط الطفل على معدتها قليلا من الداخل فيشعرها ذلك بالرغبة فى القىء، ولكن ليس فى هذا مدعاة للقلق، ومصير هذه الحالة إلى الزوال سريعا.

تلك أمثلة للإجابات المطلوبة وإن كان يراعى بطبيعة الحال أن تختلف الصيغة التى يصاغ بها الجواب بحسب اختلاف المواقف.

وبالإضافة إلى الأسئلة التى تفصح عن الخوف الحقيقى أو القلق من احتمال الألم أو الضرر، فهناك أسئلة كثيرا ما تبدو خالية من المظاهر الانفعالية ولو أنها تنصب على الاضطرابات والمخاطر التى تتصل بالحمل والولادة. ومن ذلك:

(أسئلة لبنات ما بين سن الحادية عشرة والثالثة عشرة)

– ماذا يحدث إذا ولد الطفل مبكرا عن موعده؟

– ماذا يحدث إذا كان رأس الطفل كبيرا جدا بحيث لا تتسع فتحة المهبل لخروجه؟

– ما هو الإجهاض؟

– لماذا يولد بعض الأطفال ضعاف العقول؟

(وبالمثل: صما – بكما.. إلخ)

– هل يمكن أن يموت الطفل داخل جسم الأم؟

– إذا حدث للأم تمزق أو فتق فهل يمكنها أن تنجب أطفالا بعد ذلك؟

– ما السبب إذا كان أحد الثديين أكبر من الآخر؟

(أسئلة لأولاد جاوزوا الثالثة عشرة)

– لماذا يولد بعض الأطفال موتى؟

(وبالمثل: عميا – مشوهيين – ذوى أغشية بين أصابع أقدامهم).

– ما هى حالة الوليد الميت؟

(أسئلة لبنات جاوزن الثالثة عشرة)

لماذا تحتاج بعض الأمهات إلى العملية القيصرية كى يولد الطفل؟

وأكثر ما ترد هذه الأسئلة على ألسنة البنات، ولكن مهما يكن الحال فلابد من أن يكون الجواب مبسطا، بالرغم من أن الأمر قد يتطلب أحيانا المبالغة فى التبسيط أو الاعتراف بالجهل. وينبغى التأكد على كل حال من الدافع على توجيه السؤال؛ هل هو رغبة فكرية وهل لا يخفى وراءه خوفا دفينا؟ لأنه إذا كان هذا هو الحال فإن الأمر يتطلب نوعا مختلفا من الإجابة.

الأمراض التناسلية

لم يكن التلاميذ منذ بضع سنوات يلقون أسئلة عن هذه الأمراض ولكن الموقف قد تغير اليوم، ذلك لأن الدعاية القائمة ضدها سواء أكانت عن طريق الصحافة أو المحاضرات أو الإذاعة أو السينما قد جعلت الموضوع محلا للأخذ والرد ولا مهرب للمدرسين تبعا لذلك من مواجهته.

وكثيرا ما تنصب الأسئلة على أسباب تلك الأمراض وطبيعتها وطرق علاجها كما فى الأمثلة الآتية:

– ما هى القرحة الزهرية؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

كيف تحدث الأمراض التناسلية؟ (لبنت جاوزت الحادية عشرة)

– هل يمكن الإصابة بالأمراض التناسلية فى مواضع أخرى غير الأعضاء التناسلية؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة)

– كيف نشأت تلك الأمراض فى البداية؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة)

– هل يمكن معرفة ما إذا كانت المرأة مصابة بمرض تناسلى أم لا؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

إن مبلغ ما يبديه الصغار من اهتمام بالأسرة وبالمغزى الأخلاقى والاجتماعى للإصابة بالأمراض التناسلية لما يدعو إلى العجب حقا.

ويتضح هذا من الأسئلة الآتية:

– هل يمكن أن يولد طفل من والدين مصابين بمرض تناسلى؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

(المقصود: هل يسبب المرض التناسلى العقم؟)

– هل يؤثر المرض التناسلى فى الطفل؟ (ولبنت جاوزت الحادية عشرة).

– هل يصح السماح للمصابين بالأمراض التناسلية بالزواج؟ (ولد جاوز الرابعة عشرة)

– لماذا تزداد الأمراض التناسلية إبان الحرب؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة)

وبطبيعة الحال يلزم أن يجاب عن هذه الأسئلة إذا ما ألقيت. إلا أن المدرس الحكيم هو الذى يدبر الأمر بحيث يعالج موضوع الأمراض التناسلية أساسا مع الأمراض المعدية الأخرى وليس مع موضوع الجنس والتناسل. ومن الخير على كل حال أن يمضى المدرس فى إجابته عن مثل هذا الضرب من الأسئلة بسرعة حتى يتحاشى إثارة الاستطلاع المرضى الزائد نحو هذا الموضوع.

الفهم الوجدانى

يتضح من الاتجاه العام لغالبية الأطفال الذين لم يبلغوا الثانية عشرة بعد (وفى بعض الأحيان من تخطاها منهم) أنهم إنما ينظرون إلى الناحية الجنسية على أنها ناحية تناسلية فحسب دون إدراك لما تتضمنه من عواطف الحنان والحب. وثمة طفل فى الحادية عشرة من عمره يخيل إلينا أنه كان يدرك أن إنجاب الأطفال لا يكون مرغوبا فيه فى بعض الأحيان، فسأل سؤالا يعبر عن مثل هذا الاتجاه أصدق تعبير، فقال:

– إذا كان الوالدان لا يرغبان فى إنجاب طفل فلماذا يمارسان العملية الجنسية؟

وعنده أن الجماع بين شخصين لا يرغبان فى إنجاب طفل سخف ما بعده سخف يشبه إيقاد عود ثقاب دون حاجة إلى ناره. وثمة أسئلة أخرى توضح عدم إدراك الصغار لرغبة الكبار فى الاتصال الجنسى بغض النظر عن الرغبة فى إنجاب أطفال. ومن أمثال تلك الأسئلة ما يأتى:

– هل تعرف المرأة ماذا يفعل الرجل بها؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تسمح له بذلك؟ (لبنت فى سن الرابعة عشرة).

– هل يمكن أن يحدث الاتصال الجنسى، دون أن يولد طفل؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة)

غير أن هناك من الأسئلة ما يفصح عن بعض الإدراك لناحية اللذة الجنسية. ومن أمثلة هذه الأسئلة ما يلى:

– لماذا يرغب الناس فى الجماع إذا لم يرغبوا فى إنجاب طفل؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

– هل استمرار الاتصال الجنسى يسبب السعادة؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

(ملحوظة: المقصود «بالاستمرار».. «الإكثار»)

– لماذا ينعم المحبون بهذه السعادة الهائلة؟

لا ريب فى أن معالجة المدرس لهذا الموضوع فى الفصل أكثر صعوبة من معالجة موضوع عملية التناسل. فإن بعض التلاميذ لا يكونون من الناحية الوجدانية قد بلغوا من النضج ما

يمكنهم من تفهم الموضوع، فى حين أن أية مناقشة تفصيلية للموضوع قد تؤدى إلى استثارة نضج الآخرين قبل الأوان، وعلى ذلك فإن الاتجاه العام لأى شرح فى هذا الموضوع ينبغى أن يتبع الأسلوب التالى:

– أنت تعلم أن الرجل والمرأة يتصل الواحد منهما بالآخر اتصالا جنسيا عندما يرغبان فى إنجاب طفل، غير أن هناك سببا آخر يدعوهم إلى ذلك. فالأزواج يرغبون فى أن يقضوا أوقاتهم بعضهم مع بعض، ويرغبون فى أن يكون بعضهم أقرب ما يكون إلى بعض – ولابد أنكم لاحظتم ذلك بأنفسكم – ولكن أقرب الأوضاع التى تهواها نفوسهم هو الوضع الذى يحدث فيه اتصال فعلى بين جسميهما ولذلك فإن الأزواج يمارسون الاتصال الجنسى لأن ذلك يضفى عليهم مزيدا من السعادة بالإضافة إلى أنهم يرغبون فى إنجاب أطفال. لقد يبدو ذلك غريبا عليكم لأنكم ما زلتم صغارا غير أنكم سوف تفهمون الأمر عندما تبلغون أشدكم.

الجانب الاجتماعى والخلقى للمسألة

يرتبط مستوى النضج الوجدانى للطفل ارتباطا كبيرا بتقديره للقيم الاجتماعية والخلقية التى يتضمنها موضوع الجنس. وإذا كان الصغار ينظرون إلى الميول الجنسية على أنها مجرد وسيلة للتناسل فقط، ويرون أن من السخف أن يكون لشخص غير متزوج علاقات جنسية، فإن المشكلات الجنسية بالنسبة لهم ليست ذات مغزى كبير، ولكن يحدث أحيانا أن يفصحوا بأسئلتهم عن تقديرهم لسخط المجتمع على الاتصال غير الشرعى ومن أمثلة ذلك:

– لماذا يتزوج بعض الناس قبل أن تسمح لهم ظروفهم بإنجاب طفل؟

(لبنت جاوزت الحادية عشرة).

– لماذا كان إنجاب طفل قبل الزواج أمرا غير قانونى؟ (هكذا)

(لبنت جاوزت الثانية عشرة)

بيد أنه يندر أن يثير الأطفال قبل سن البلوغ مثل هذه الأسئلة.

ولكن فى خلال السنوات الثلاث أو الأربع التالية تؤدى التغييرات المتسببة عن إفرازات الغدد الصماء إلى تكوين أحاسيس جنسية أكثر عمقا، كما يبدأ فهم الجانب الغرامى من الجنس، ويصحب ذلك ظهور الاهتمام بالقيم الخلقية والاجتماعية للسلوك الجنسى. ويكون هذا الاهتمام أكثر وضوحا عند الفتيات إذ يكن فى هذا السن أسرع كثيرا فى النضج من الأولاد الذين فى نفس السن. ومن الأسئلة النموذجية ما يلى:

(أسئلة لبنات ما بين سن ١٣ و ١٥ عاما).

– ما معنى أطفال غير شرعيين؟

– هل تضطر كثيرات من البنات إلى الزواج القهرى؟

– هل يوجد ضرر ما فى تقبيل ولد؟

– لماذا كانت هذه الأعمال خاطئة قبل الزواج؟

– هل من المخجل أن تنجب المرأة طفلا قبل الزواج؟

(أسئلة لأولاد جاوزوا الثالثة عشرة).

هل مصاحبة الرجل والمرأة خطأ إذا كانا غير متزوجين؟

– هل مصاحبة البنات أمر سليم؟

(بنات جاوزن الخامسة عشرة).

– ما الذى يمكن عمله لمساعدة زوجين تزوجا على ظن منهما بأنهما يحبان بعضهما ثم تبينا خطأهما بعد ذلك؟

– ما الرأى فى تزوج الفتاة من رجل كبير السن؟

يصادف المدرس كثيرا من الحرج عند الإجابة عن الأسئلة التى من هذا النوع. ذلك لأن المسألة لا تدور حول جانب من الحقائق العلمية التى لا تحتمل المناقشة إلا بين المتخصصين وإنما هى مسألة معيارية تتصل بالقيم الخلقية وتختلف الآراء فيها اختلافا شاسعا. غير أننا ننصح بتشجيع الأطفال على أن يكفروا فى الأمر بأنفسهم، وأن نتحاشى التهجم بما لا يليق على الآباء الذين يتمسكون استمساكا شديدا بما نشأوا عليه من أوضاع وتقاليد. ولكى نزود الأطفال بمادة للتفكير فى هذه الناحية يلزم بيان المشقة والأذى الذى تتعرض له الأم غير المتزوجة والطفل غير الشرعى وكيف أن موقفهما جدير بالرثاء والعطف. كما ينبغى توضيح أسباب القيود التى يفرضها المجتمع على النشاط الجنسى دون أية إشارة أو تلميح إلى أن العملية الجنسية ذميمة فى حد ذاتها. ولقد تبين بالتجربة أن كثرة التلاميذ يتقبلون ما نقول به وينتصحون بما تشير به فى هذه الأمور؛ وليست المهمة، فى الواقع، من العسير أو الصعوبة بالدرجة التى يتخيلها المرء لأول وهلة.

لقد سبق أن ذكرنا أنه يحتمل كثيرا أن يسأل الأطفال، فى حصص الدين أسئلة ذات صبغة جنسية؛ وهم لا ينظرون إلى المناهج الدراسية على أنها ميادين منفصلة ومستقلة بعضها عن بعضها تمام الاستقلال؛ لذا فهم كثيرا ما يثيرون مثل هذه الأسئلة أيضا فى حصص علم الأحياء. وإليك أمثلة من الأسئلة التى تلقى فى هذا الصدد.

لماذا يحتاج الأولاد بعد ولادتهم إلى إجراء عملية لهم؟

(المقصود عملية الختان) (لبنت جاوزت الخامسة عشرة)

– لماذا تكون المرأة غير طاهرة (غير نظيفة) بعد أن تضع طفلا؟

(لبنت جاوزت الرابعة عشرة).

– ما معنى العذراء؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

– ما هى المحظية؟ (لبنت جاوزت الحادية عشرة).

– ما هى العاهرة؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

– ما هو الزنا؟ (لبنت جاوزت التاسعة).

– ما رأيك فى الزواج بأكثر من واحدة؟ (لبنت فوق الحادية عشرة).

وليس من العسير أن يجاب عن هذه الأسئلة بإجابات تتضمن المعلومات اللازمة، ولكن هناك نقطا ينبغى أن توضع موضع الاعتبار. فقد يكون من الضرورى ذكر التغيرات التى طرأت على العادات بحيث أصبح الناس فى الوقت الحاضر مثلا لا ينظرون بعين الرضا إلى الرجل الذى يتخذ عددا كبيرا من الزوجات والمحظيات. كما أنه من المستحسن توضيح المغزى الدينى والصحى للختان وكيف تغيرت النظرة العامة إلى الولادة والأمور الجنسية وإلى الطهارة والنجاسة والمعنى الصحى لها. وربما كانت ولادة العذراء (ولادة المسيح) من أحرج المواقف التى يواجهها المدرس، فعليه إزاءها أن يذكر الحقائق كما هى ولا يتعرض للعقائد الدينية فى هذا الموضوع إلا على أنها عقائد لا يستطيع العلم إثباتها أو نفيها.

وهاك إجابة مناسبة للسؤال الأول من المجموعة السابقة:

– عملية الختان هى عملية جراحية بسيطة تجرى عادة للأولاد وهم صغار. أنت تعرف أن طرف القضيب مغطى بغطاء (سائب) من الجلد يسمى القلفة، وما الختان إلا قطع هذه القلفة وإزالتها. عملية الختان عملية سائدة فى البلاد الحارة حتى لا تتجمع القاذورات والإفرازات حول عنق القضيب، وقد اصطبغت هذه العملية بالصبغة الدينية بالإضافة إلى قيمتها الصحية، لأن معظم الأديان قد نشأت فى الشرق. أما فى البلاد الباردة فإن هذه العملية ليست ضرورة إلى هذه الدرجة، يستعاض عنها بالغسيل والتنظيف باستمرار. ومع ذلك فإن عملية الختان تصبح لازمة فى هذه البلاد أيضا إذا كانت القلفة شديدة الضيق.

وإليك سؤالا آخر يتميز بصعوبة خاصة إذ يتطلب شرحا لمعنى ولادة العذراء وسوف نقترح له إجابة مناسبة.

– ولكن كيف حدثت ولادة المسيح؟ لقد ذكرت أنه لكى يحدث الحمل يجب أن تخصب البيضة بواسطة حيوان منوى. فهل قصة المسيح ومريم العذراء صحيحة؟ (لولد جاوز الخامسة عشرة).

– إن هذا السؤال صعب الإجابة. إذ أنه يمس عقيدة دينية أكثر من أن يمس موضوعا فى علم الأحياء. هل تتذكر ما قلته لك ذات مرة من أن بيض قنفذ البحر وبيض الضفادع يمكن إنماؤه دون أن يخصب؟ إن هذه ولادة عذراء لقنفذ البحر والضفادع. وقد أمكن فى الواقع إنما بيضة الأرنب دون أن تخصب – وهذه أيضا ولادة عذراء للأرنب. أما مسألة المسيح والعذراء مريم فأمر لا يمكن لرجال العلم إثباته أو نفيه فى معاملهم، فهى عقيدة دينية، ولو أننى كنت مكانك لسألت فيها رجلا من رجال الدين وأنعمت الفكر فى الإجابة التى يستطيع أن يقدمها لى بصددها.

إن المدرس الذى يأخذ على عاتقه أن يرحب بكل تعليق يوجه إليه ينبغى أن يهيىء نفسه لسماع النقد الذى يوجهه التلاميذ للطريقة التى أخفيت بها المعلومات عنهم والسرية التى تحيط بالموضوعات الجنسية. وقد يظهر النقد فى مثل الأسئلة التالية:

– لماذا لم نتمكن من معرفة هذه الأشياء قبل بلوغ سن الرابعة عشرة؟

(لبنت جاوزت الرابعة عشرة).

لماذا تنظر البنات إلى الأمور الجنسية على أنها أشياء يجب أن يكون الحديث عنها فى الخفاء؟ (لبنت جاوزت الخامسة عشرة).

– هل تظن أن البنات اللاتى يعرفن حقائق الحياة فى سن مبكرة يكن أكثر تعقلا بإزائها من أولئك اللاتى لا يعرفنها إلا فى سن متأخرة؟ (لبنت جاوزت السادسة عشرة).

عند الإجابة عن هذه الأسئلة ينبغى أن يكون واضحا فى ذهننا أن الصراحة خير سبيل للإفادة ومع ذلك فمن الخير اصطناع اللباقة والحرص. فمن المرجح أن معظم الآباء قد فشلوا فى القيام بواجبهم فى هذا الصدد، فينبغى أن يتحاشى المدرس ذكر أية عبارة قد تسبب النيل من احترام الأطفال لهم. ومن الممكن على سبيل المثال أن يجاب عن السؤال الأول كما يلى:

– الواقع أنه لا يوجد سبب وجيه لهذا. وأنا أعتقد أنه يجب أن تبدأ معرفة الأطفال بالشئون الجنسية حالما يشرعون فى توجيه الأسئلة المتعلقة بها. ولكن الناس لم يكونوا على هذا الرأى دائما وقد نشأ كثيرون من آبائكم على خلاف هذا، ولذلك فإن الكثيرين منهم لم يرغبوا فى أن يجيبوا عن كل أسئلتكم ولكن الفرصة قد أتيحت لكم أخيرا لمعرفة الشئون الجنسية، ولذلك فإنى آمل أنكم عندما تتزوجون وتنجبون أطفالا سوف تخبرهم بحقائق الأمور.

فإذا شعر طفل رغم حذر المدرس أن والديه قد اقترفا خطأ بعدم مصارحته بالحقيقة فليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة لأن هذا هو الواقع. ولك ما نأمل فيه هو أن الطفل عندما يصبح والدا فى المستقبل يفعل بإزاء أولاده خيرا مما فعل أبواه معه.

تحديد النسل

وثمة مشكلة تواجه المدرس الذى يعالج الأسئلة الجنسية بأمانة فإنه نظرا لكثرة المناقشات والإعلانات التجارية التى تتصل بهذه الموضوعات فمن المحتمل أن يثير التلاميذ أسئلة تتعلق بتحديد النسل. وهكذا يواجه المدرس المشكلة، ولسوف تختلف بالطبع وجهات نظر المدرسين بشأن هذا الموضوع. هذا إلى أن هناك صعوبة أخرى وهى عدم التحقق من وجهات نظر آباء التلاميذ إزاءه. ومع ذلك فإذا كانت الأسئلة لا تتطلب سوى معلومات علمية فإنه لا يوجد سبب جدى يمنع من الإجابة عنها. ومن هذه الأسئلة ما يلى:

– هل يمكن منع الحيوانات المنوية من الوصول إلى البيضة؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

– ما معنى تحديد النسل؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة)

– هل تستطيع المرأة أن تمنع الحمل؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة)

ومثل هذه الأسئلة يمكن أن يجاب عنها ببساطة على النحو الآتى:

– أنت تعلم أن إنجاب الطفل يتطلب اندماج الخلية الذكرية بالبيضة (الخلية الأنثية). ولكن يحدث فى بعض الأحيان أن لا يرغب الناس فى إنجاب طفل، ولذلك فإنهم يستعملون وسائل شتى لمنع الحيوان المنوى والبيضة من الاتحاد، وهذا ما يسمى «تحديد النسل». وعندما تصير كبيرا وتفكر فى الزواج فإنك تستطيع أن تحصل على معلومات أوفى من طبيبك.

وقد تلقى بعض الأسئلة من أطفال شاهدوا أو ترامى إلى أسماعهم بعض المعلومات عن مانعات الحمل – وأفضل إجابة فى مثل الحالات هى:

– لقد أخبرتك عن معنى تحديد النسل، وذاك هو أحد الوسائل المتبعة لمنع الحمل. وهناك طرق شتى لذلك الغرض، وعندما تكون على وشك الزواج فيجب أنم تستشير طبيبا فى ذلك.

وبهذه الطريقة يستطيع المدرس أن يشبع رغبة التلاميذ العاجلة فى الاستطلاع دون أن يشجعهم على المغالاة فى الاهتمام بهذا الموضوع، ودون أن يعرض نفسه للدخول فى موضوع الدعاية لتحديد النسل.

وتدل أسئلة بعض الأطفال على أنهم يعرفون بعض الشىء عن الإجهاض كما يتضح من الأسئلة المبينة فيما يلى:

– هل تستطيع المرأة أن تمنع تكون الطفل بعد أن يبدأ فى النمو؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

– هل الإجهاض جريمة؟ (لبنت جاوزت الرابعة عشرة)

فإذا أثيرت أمثال هذه الأسئلة فلابد من الإجابة عنها بأمانة. إلا أنه ينبغى برغم ذلك، ألا يتردد المدرس فى هذا المجال فى الإفصاح عن مثالب الإجهاض من النواحى الطبية والاجتماعية بل والدينية. كما أن كثيرا من الأطفال يعرفون الجانب الآخر من المسألة، فمن المحتمل جدا أن يثيرا أسئلة فى موضوع العقم على النحو الآتى:

– لماذا لا يستطيع بعض الناس إنجاب الأطفال؟ (لبنت جاوزت الثالثة عشرة).

– كيف أن بعض الناس يمكثون سنوات طويلة بعد الزواج دون أن ينجبوا طفلا؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

– لماذا يضطر بعض الناس إلى تبنى الأطفال بدلا من إنجابهم؟ (لولد جاوز الثالثة عشرة).

أهمية حساسية المدرس فى الفصل

بمراجعة الأسئلة التى أشرنا إليها، وهى أسئلة واقعية أثارها التلاميذ والتلميذات فى الفصل، يتبين لنا أن الرأى القائل بأن تعليم هذه الأمور فى الفصل يثير المتاعب والمصاعب رأى له وجاهته، وبخاصة فيما يتعلق بالصعوبة الناجمة عن التفاوت الكبير بين التلاميذ، سواء فى معلوماتهم أو فى نظرتهم إلى الشئون الجنسية. ولكن إذا كانت الفوائد التى تنجم عن معالجة الموضوع الجنسى فى المدرسة على أنها جزء من الدراسة العادية ترجح كثيرا (كما يرى مؤلف الكتاب) على هذه الصعوبات، فإنه لا يصح تحاشى هذه الموضوعات بل ينبغى معالجتها. وإننا لنذكر مرة أخرى – رغم ما فى ذلك من تكرار – ضرورة أن يكون المدرس على درجة كبيرة من رهافة الحس وثاقب البصيرة، وأن يكون على معرفة بخصائص أفراد التلاميذ، وبيوتهم، ومعتقداتهم الدينية، وأن يكون لماحا فى إدراك أقل مظاهر الارتباك أو الخوف أو الرغبة فى الاستطلاع التى تنم عن حالة مرضية؛ وماهرا فى الإلمام بهذه النقط جميعها فى اللحظة القصيرة التى تتاح له قبل الإجابة؛ إذا أن هذه الصفات على أكبر جانب من الأهمية.

الأسئلة فى النادى

إن رواد الشباب قد بدأوا يأخذون على عاتقهم مهمة التربية الجنسية بطريقة منتظمة فى نواديهم ومؤسساتهم، كما استغل المتازون منهم الفرصة دائما ليحادثوا فيها الأفراد متى أحسوا بأن هؤلاء قد يستفيدون من المحادثة، أما أعضاء النوادى فإنهم يفعلون كما يفعل إخوتهم وأخواتهم الصغار فى المدارس. فيتوجهون إلى رائدهم فى النادى بالسؤال تلو السؤال، ولسوف يجد الرائد فى دراسة الأسئلة النموذجية والتفكير فى الإجابة عنها مقدما فائدة كبيرة له.

ولا يمكننا أن نضع حدا فاصلا جامدا بين الأسئلة التى يحتمل إثارتها فى المدرسة وتلك التى يحتمل إثارتها فى النادى، وذلك أولا لأن التلاميذ الكبار فى المدرسة تبلغ أعمارهم نفس مستوى أعمار الشبان فى منظمات الشباب. وثانيا لأن كثيرا من الأعضاء فى منظمات الشباب لم يحظوا بتربية جنسية صادقة، سواء فى المنزل أو فى المدرسة، فهم لذلك يثيرون من الأسئلة ما كان ينبغى أن يظفروا بالإجابة عنه منذ سنوات مضت. وعلى ذلك فينبغى أن يستعد المدرسون لمعالجة الكثير من الأسئلة فى هذا الجزء وأن يستعد رواد الشباب للكثير من الأسئلة التى ذكرت فى القسم السابق.

النضج الوجدانى

ويدل كثير من الأسئلة التى يثيرها النوادى على زيادة وعيهم بالناحية الوجدانية للجنس بالقياس إلى صغار الأطفال، كما تميل أسئلتهم فى بعض الأحيان إلى الإفصاح عن خبرات خاصة، وهى إن لم تصل إلى حد الاتصال الجنسى الفعلى فإنها على الأقل تعبر عن العلاقات الغرامية الأولى.

وهذه الأسئلة تأتى كما هو متوقع من الفتيات أكثر مما تأتى من الفتيان، وذلك بسبب سبقهن للأولاد فى النضج. وإليك بعض نماذج لهذه الأسئلة:

(شابات)

هل الإحساس الذى تشعر به المرأة أثناء العملية الجنسية (وهو نظير الإحساس الذى يشعر به الرجل عند انطلاق الحيوانات المنوية) يتسبب عن انطلاق البيض؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فبماذا نعلله؟

– لماذا لا تشعر المرأة دائما باللذة من العملية الجنسية؟

– هل يمكن أن يحدث الإخصاب إذا لم تصل المرأة إلى حالة النشوة؟

– هل من الواجب أن تستسلم المرأة للرجل حتى ولو تشعر هى بالميل الجنسى؟

– كيف يكون التصرف مع الولد الذى يرغب فى الاتصال الجنسى؟

– ما الذى يثير والولد فيسبب توتر قضيبه، وهل يكون له فى هذه الحالة أية قدرة على ضبط نفسه؟

(الشبان)

– لماذا لا تصل المرأة فى كثير من الأحيان إلى حالة الارتياح، مما يسبب الشقاق بين الاثنين؟

– ما هو السن العادى الذى يظهر فيه الانفعال الحقيقى عن البنت؟

– هل تشعر المرأة بنفس ما يشعر به الرجل؟

إن الإجابة عن أسئلة من هذا النوع تتطلب حرصا شديدا وعناية فائقة بالأسلوب والصياغة، ويجب مراعاة الدقة فى ذلك بما يتفق مع حاجة الجمهور المستمع. وعلى وجه العموم نستطيع القول بأن إعطاء جواب قد يكون غير مشبع لبعض الأعضاء خير ألف مرة من إعطاء الجواب الذى يكون شديد الإثارة لغيرهم.

الحيض

تثير الشابات فى النوادى عن الحيض كثيرا من الأسئلة التى يثيرها أخواتهن بالمدارس مثل مشكلات عدم الانتظام والألم، وخزعبلات العجائز عن الاغتسال وتمشيط الشعر وعمل التمرينات، وعن حدوث شىء مماثل لهذه العملية للرجل، وما إلى ذلك. وبالنسبة إلى تقدم هؤلاء الشابات فى السن فمن الطبيعى أن تستحوذ بعض الأمور بالذات على اهتمامهن أكثر من غيرها.

ومن هذه الأمور الإفرازات البيضاء التى يبدو أنها تسبب لبعض الفتيات كثيرا من الهم والقلق. ومن الأمثلة النموذجية ما يلى:

– هل خروج إفراز أبيض بين الدورات أمر طبيعى؟

– ما هى الإفرازات البيضاء؟ وما سبب حدوثها؟

(ملحوظة: يكفى جواب بسيط فقط).

وثمة أمر آخر لا ينقطعن عن إثارته، وهو يتعلق بالناحية الصحية من الحيض، وأفضل الطرق للنظافة فى أثناء العادة الشهرية.

غشاء البكارة والقلفة

وتؤدى تلك المسألة إلى التحدث عن غشاء البكارة وموضعه، وتمزقه أثناء العملية الجنسية. وها نحن نورد بعض الأسئلة التى أثيرت حول هذه النقطة:

(شابات)

– هل توجد قطعة من الجلد داخل المهبل تتمزق عند الاتصال الجنسى؟

– هل يوجد غشاء البكارة فى أعلى المهبل؟

– هل يتمزق الغشاء أحيانا إذا مارست البنت بعض الألعاب العنيفة؟

– هل يسبب تمزق قطعة الجلد عند الزواج آلاما شديدة؟

– كيف يعرف الرجل ما إذا كانت المرأة التى تزوجها مازالت عذراء؟

عند الإجابة عن أسئلة من هذا النوع وبخاصة إذا كانت هذه الأسئلة صادرة من البنين ينبغى أن نوضح أن غشاء البكارة يختلف بين الفتيات من الناحية التشريحية. وأنه لا ينبغى التسرع فى الحكم على فقدان الفتاة لبكارتها، مع ما يتضمنه هذا من حكم أخلاقى قد يجانب جادة الحق والإنصاف.

ومن هذا أيضا تلك الأسئلة الخاصة بالختان يثيرها البنون عامة، (كما يحتمل إثارتها من جانب البنات فى بلد كمصر والبلاد الشرقية حيث تختتن البنات أيضا). وهناك جهل شائع عن طبيعة هذه العملية وخاصة فيما يتعلق بحالة البنات. فبالإضافة إلى الأسئلة التى تنصب على طبيعة العملية الجراحية ذاتها فقد تثار أسئلة كبيرة عن أهميتها الطبية والحسية وما يصحبها من احتفالات وفيما يلى بعض الأسئلة الأنموذجية فى هذا الموضوع:

- ما هو الختان؟
- هل هناك أية فائدة للختان؟
- لماذا لا يختن الغربيون؟
- هل الختان فرض دينى؟ ولماذا؟

الاستمناء

إن المحاضر الذى يحدث الشبان فى موضوع الجنس، يؤدى عملا جليلا إذا هو أوضح لهم بطلان الخرافات والخزعبلات، التى تحيط بمسألة الاستمناء. ورغم ذلك فإن الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع لا تفتأ تثار. ومن أمثلة ذلك ما يلى:

- ما هو وجه الحق فى مسألة الاستمناء؟
- هل يؤدى الاستمناء إلى السل والجنون؟

(وبالمثل إلى الكثير من العلل الأخرى).

- هل الاستمناء عمل صحى؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو المعدل المناسب لمزاولته؟
- كيف نستطيع أن نتخلص من هذه العادة؟
- هل ثمة عادة مماثلة لها عند البنات؟

من النادر أن تثار مثل هذه الأسئلة من جانب الشابات، وإن الأسئلة التى تلقينها تستثار أحيانا عند ملاحظة الأطفال الصغار. وهذه الأسئلة تمثلها الأنواع التالية وهى مأخوذة من مجموعة كبيرة من الأسئلة:

- هل هناك ضرر ما فى أن تحك البنت نفسها؟
- لماذا يلعب الأطفال بأعضائهم الجنسية؟

– ما الذى يلزم عمله عندما يمسك الطفل الصغير قضيبه؟

إن الإجابات فى هذا الموضوع تحتاج إلى الكثير من اللباقة فى التعبير، بحيث تؤكد أن الاستمناء، فى الحقيقة غير ضار بصفة عامة دون أن يفهم من ذلك أنه عادة مستحبة.

الحمل والولادة

معظم الشابات قد سمعن كثيرا عن عملية الوضع، وكثيرات منهن أتيحت لهن معرفتها عن كثب نتيجة لولادة شقيق أصغر أو أطفال آخرين فى نفس البيت. فليس من المستغرب إذن أن ينصب جانب من أسئلتهن على الحمل والولادة والعناية بالطفل الصغير. ومن أمثلة ذلك ما يلى:

– ما السبب فى آلام الوضع، ولماذا يكون بعضه أشد قسوة من غيره؟

– لماذا تؤدى الصدمة أو السقوط إلى خروج الجنين قبل موعده؟

– ما لسبب فى بقاء الطفل فى رحم أمه بعد الشهر التاسع أحيانا؟

– ما سر السائل الذى يخرج من الأم قبيل الوضع (طش القرن)؟

– مم يتكون «الخلاص»؟

– هل تستطيع المرأة الحامل أن تلد دون الاستعانة بالقابلة؟

– لماذا يؤخذ بعض الأطفال من جانب الأم؟

(المقصود بذلك الولادة القيصرة)

– إذا ولدت المرأة مرة بالعملية القيصرية فهل يمكنها أن تنجب آخرين؟

– ماذا يحدث للحبل السرى عندما يولد الطفل؟ هل يوضع داخل الأم ثانية؟

– ما هى حمى النفاس؟

– هل يبدأ الطفل فى التنفس حال ولادته، وإلا فماذا يفعل الطبيب ليبدأ الطفل فى التنفس؟

– هل حقا ما يقال من أن الأم الحامل إذا انزعجت من حيوان أو كائن آخر فإن هذا يترك أثره فى الطفل؟ (المقصود: هل تتكون فى جسم الوليد علامة بشكل هذا الحيوان؟ وهى خرافة منتشرة).

– لماذا يخرج الطفل من رحم أمه ميتا فى بعض الأحيان؟

– كيف يصنع ثدى الأم اللبن للطفل؟

– هل خروج إفرازات من سرة الطفل أم طبيعى؟

وقليلا ما يعرض الشبان لمثل هذا النوع من الأسئلة وإليك بعض ما يلقونه:

– ما الذى يسبب الإجهاض؟

– إذا أتى الحيض الأم فى أثناء الحمل فهل يتأثر الطفل بذلك أى تأثر؟

– هل يوجد خلاصان للتوأمين؟

(ملحوظة: هذا يتوقف على نوع التوأمين).

– قد يولد الطفل ميتا فما السر فى ذلك؟

إن إجابة مثل هذه الأسئلة فى حالة الشابات بنوع خاص ينبغى أن تستهدف بصفة خاصة بث الطمأنينة فى نفوسهن وذلك إلى جانب إعطاء المعلومات.

الوراثة وولادة التوائم

إن المستمعين للمحاضرات من كافة الأعمار يسعون دائما وراء الوقوف على حقائق الوراثة، وتحديد الجنس وولادة التوائم، ولا يختلف فى ذلك صغار المراهقين أو كبارهم. والأسئلة التالية تمثل إلى حد كبير ما يثار من أسئلة فى هذا الصدد:

– ما أسباب العلامات الجسمية التى يولد بها الطفل؟

– إذا كان أحد الزوجين مصابا بالصرع فهل ينتقل ذلك إلى الأطفال؟

(وبالمثل يسألون عن كثير من العلل الأخرى)

– رجل وزوجته يبدوان سليمين ومع ذلك فإن لهما بنتين كلتاهما صماء بكماء. فهل يمكن تعليل هذا؟

– هل كثرة العيال تجرى فى بعض العائلات؟

(المقصود: هل كثرة النسل تورث؟)

– نسمع كثيرا عن عائلات يتصف أفرادها بالحطة ولا يقولون الصدق أبدا، فهل مثل هذه الصفات تورث؟

– هل يمكن تحديد جنس الطفل بوسائل كيميائية؟

(ملحوظة: كلمة تحديد تعنى الاختيار فى بعض الأحيان وتعنى الكشف عن الجنس فى البعض الآخر).

– هل يمكن معرفة جنس الطفل قبل أن يولد؟

– بماذا تعلل ولادة التوائم؟

– لماذا يولد بعض التوائم معا فى وقت واحد، والبعض الآخر تفصل ولادتهم أيام؟

– لقد كانت أمى سيئة الحظ، إذ أصيبت بمرض الكوليرا إبان وباء انتشر منذ عدة سنوات، ولما كانت حاملا فى أربعة أشهر فإنها أجهضت، ومرضت مرضا شديدا، وقد اكتشفت القابلة التى كانت تقوم بالعناية بها أنها كانت حاملا فى طفلين – كان أحدهما فى الشهر الرابع ولم يتجاوز الآخر الشهر الثانى. وقد دهشت لهذا جدا وأخبرت والدتى بأن حالتها تعتبر «واحدة فى المليون»؛ هل يمكنك تفسير حدوث ذلك؟

– كيف يلتحم جسمان معا كما فى حالة «توأمى سيام»؟

(الشبان)

– هل إذا كان أحد الوالدين يعانى من مرض أثناء حدوث الحمل فهل يحتمل أن ينتقل هذا إلى الطفل؟ فمثلا إذا كان جنديا عائدا من الحرب مصابا بالدوسنتاريا فهل يصاب طفله بهذا المرض؟

– أنت تقول إن عدد الحيوانات المنوية التى تتكون هائل، وإن عددا كبيرا منها يدخل الأنثى أثناء الاتصال الجنسى؛ فهل الصفات أو الصبغيات التى تحتويها كل من هذه الحيوانات متماثلة تماما بحيث أن النسل الذى يأتى من اتحاد واحد من هذه الحيوانات بالبيضة يكون مماثلا تماما لما ينتج إذا اتحد حيوان آخر بالبيضة؟

– هل يمكنك معرفة ما إذا كنت ستنجب ولدا أو بنتا؟

– هل يأتى التوأمان أو أكثر من اتصالين جنسيين أو أكثر؟

– ما السبب فى ولادة خمس أطفال توائم؟

(حالات نادرة معروفة فى العالم)

– هل يمكن ولادة طفل ثان بعد بضعة شهور من ولادة الأول؟

الناحية الصحية فى الزواج

عندما تتقدم السن بالشباب ويصبح احتمال الزواج قريبا فإنهم يبدأون فى إثارة الأسئلة التى تنصب مباشرة على الناحية الصحية فى الزواج. ومن أمثلة ذلك ما يلى:

(شبان)

– هل يمكن أن تحمل المرأة من أول مرة يحدث فيها الاتصال الجنسى؟

– لماذا يحدث الحمل أحيانا فى الأسبوع الأول من الزواج ولا يحدث فى أحيان أخرى إلا بعد سنوات؟

– هل يصح الجماع فى أثناء الحمل؟

– ما هو المعدل المناسب لعدد مرات الجماع؟

– هل المبالغة فى العملية الجنسية تضر بالصحة؟

– ما هى أوضاع الاتصال الجنسى؟

– لماذا ينبغى القيام بالاتصال الجنسى فى الليل؟ (كذا)

(الشابات)

– كم من الوقت تستغرق العملية الجنسية عادة؟ .

– هل من الممكن إنجاب طفل من مرة واحدة؟

(المقصود: بعد اتصال جنسى واحد)

– لماذا يؤدى أحد الاتصالات الجنسية بالذات إلى الحمل رغم القيام بعدد كبير من هذه الاتصالات؟

– بعد كم من الوقت تستطيع المرأة أن تعرف أنها حامل؟

– هل يمكن أن يعرف الزوج أن زوجته ستنجب طفلا قبل أن تخبره هى بذلك؟

– كم مرة تنقطع العادة الشهرية إبان الحمل، ومتى تبدأ ثانية؟

– هل يمكن القيام بالعملية الجنسية إذا كانت المرأة حاملا؟

– هل الاتصال الجنسى يؤذى الطفل الذى لم يولد بعد؟

– هل يصح القيام بالعملية إبان الدورة الشهرية؟

– هل يجب أن تمتنع النساء الحوامل عن التدخين؟

(وبالمثل: تعاطى المشروبات المكيفة)

– ما هى المدة التى ينبغى أن يقضيها الزوجان دون جماع عقب ولادة الطفل؟

– ما هو سن اليأس؟

– هل تقف خصوبة الرجل إذا تقدمت به السن كما هو حال الأنثى بعد انقطاع الحيض؟

ومن السهل الميسور أن يجاب عن بعض الأسئلة السابقة، إذ لا تعدو الإجابات المناسبة أن تكون أكثر من ذكر الحقائق. ولكن معالجة البعض الآخر أكثر صعوبة من هذا، حيث يختلف الجواب كثيرا تبعا لحالة كل زوجين. فمن المستحسن لهذا السبب تأكيد الحكمة فى استشارة طبيب الأسرة أو أى عيادة خاصة عندما يحين الوقت لمواجهة أمثال تلك المشكلات عمليا.

ضبط النسل

من المتوقع طبعاً أن يثير الشباب الأسئلة الخاصة بتحديد النسل أكثر مما يفعل أطفال المدارس. ففى بعض الأحيان يتطلب أولئك شرحاً عاماً لتحديد النسل، وفى أحيان أخرى يسألون بالتفصيل عن إحدى المواد التى تباع فى السوق لهذا الغرض، كما أنهم قد يسألون فى غير هذا من الأحايين عن الأثر النسبى لوسيلة عملية من وسائل منع الحمل. وكثيراً ما يوجهون الأسئلة عن الفترة المسماة «بفترة الأمان»، كما يطلبون النصح والإرشاد فيما يتعلق بالحكم الأخلاقى فى موضوع تحديد النسل. وهم يسألون فوق ذلك كثيراً عن الإجهاض، فى حين أن مشكلة العقم بين الأزواج الذين يريدون أطفالا كثيراً ما تكون موضع استفسارهم ومناقشتهم. ومن الأسئلة المطروقة فى هذا الموضوع ما يأتى:

(الشابات)

– هل تتفضلين بشرح موضوع تحديد النسل؟

– ما أضمن طريقة لتحديد النسل؟

– هل الامتناع المطلق عن العملية الجنسية هو الطريقة الوحيدة لتحاشى النسل؟

– هل لابد من حدوث «الحمل» إذا اتصل الزوجان، أم أن هناك فترات «أمان» بين الدورات الشهرية؟

– أمن الخير أن نلجأ إلى تحديد النسل؟

– يحاول البعض التخلص من الطفل فى أثناء الحمل – ماذا يحدث بالضبط؟

– إذا كان شخص يتوقع طفلا ويحاول منعه، فهل يضر هذا العمل بالطفل؟

– قد يحدث أن ترغب امرأة فى إنجاب طفل بكل جوارحها ولكنها لا تستطيع ذلك، فما هو السبب؟

– ما هو ضبط النسل وإلى أى حد هو مضمون؟

– هل هناك فترة فى إبان دورة الحيض لا يحدث فيها حمل؟

– هل تعتبر مانعات الحمل ضد الطبيعة الإنسانية؟

– هل يمكن إيقاف نمو الطفل فى مراحله الأولى بأية وسيلة؟

– ما سبب العقم الجنسى؟

– لماذا لا يستطيع بعض الناس الذين يبدو مظهرهم عادياً أن ينجبوا أطفالاً؟

والإجابة عن معظم هذه الأسئلة ليست عسيرة إلا أنه نظرا إلى الاختلاف الكبير القائم فى الآراء نحو تحديد النسل من الناحية الخلقية فإنه ينبغى التزام الحرص عند الإجابة عنها.

النواحى الاجتماعية والخلقية

لعله من دواعى الرضا أن كثيرا من الشبان – رغم النقد الذى يتعرضون له من جانب الكبار – يفكرون جديا فى خير المجتمع من الناحية الجنسية، ويرغبون حقيقة فى استلهام النصح والإرشاد فى سلوكهم الجنسى. ويتضح هذا من الأسئلة التالية:

(الشبان)

– كيف حال المستوى الأخلاقى فى البلاد الغربية (مثلا)؟ وهل يصل إلى المستوى الذى عندنا؟

– لقد تفاقمت المشكلات الجنسية فى مجتمعنا الحالى فماذا تقترح لحل الإشكال؟

– كيف يمكن القضاء على أماكن الدعارة السرية؟

– هل ثمة ضرر من الاستماع إلى القصص الجنسية المثيرة؟

– هل هناك ضرر فى أن يقضى الشخص بعض الوقت فى مداعبة بنت إذا لم يتطرف فى سلوكه؟

– لماذا لا يصح لك أن تمارس العلاقة الجنسية إلا بعد الزواج؟

(الشابات)

– هل يصح أن تتزوج الفتاة شابا من غير بنى جلدتها؟

– هل يلزم إجراء فحص الدم قبل الزواج؟

– هل من الحكمة أن ينجب صاحب العاهة طفلا؟

– هل من الحكمة أن يتزوج أبناء العمومة أو الخؤولة ولو كانوا أصحاء؟

– لماذا يسمح بالبغاء فى البلدان المتمدينة؟

– ما رأى علم الوراثة فى تفوق بعض الأجناس؟

– هل كبت الدوافع الجنسية ضار؟ وما هى الخطوات المثالية لإعلائها؟

ولا مندوحة عن أن يكون المعول فى الإجابة عن كثير من هذه الأسئلة على الرأى الشخصى؛ وعلى المحاضر وهو يدلى برأيه الشخصى، أن يتجنب الإدلاء بالآراء التحكمية أو المتطرفة التى لا تطابق مقتضى الحال. وفى استطاعته – إذا عالج الأمر بمهارة – أن يغرى المستمعين بالتعبير عن آرائهم الخاصة، مما يؤدى إلى تولد مناقشات طيبة مثمرة للغاية.

الأمراض التناسلية

ظل موضوع الأمراض التناسلية سنوات عديدة موضوعا سريا (ولعل عبارة الأمراض السرية ذات علاقة بهذا) لا يتحدثون عنه فى المجتمعات المهذبة، ولكن الأمر لم يعد اليوم كذلك. فالحملات العامة ضد هذه الأمراض قد رفعت الحجب عنها، وأخذ الشباب فى مجتمعاتهم يستفسرون عنها. فيجمل بالمحاضرين فى مثل هذه المجتمعات أن يقفزا على الحقائق الرئيسية فى هذا الموضوع وأن يتوخوا فى معلوماتهم الجدة ومسايرة أحدث النتائج العلمية، حتى يواجهوا ما عساه يوجه إليهم من أسئلة، وإليك بعض الأسئلة الأنموذجية:

(من شابات)

– هل تسمحين بذكر الوسائل الخاصة المانعة من المرض التناسلى؟

(المقصود: التدابير الوقائية)

– ما الزمن الذى تمكثه الأمراض التناسلية؟

– ما أثرها فى الشخص المصاب وفى الأطفال الذين لم يولدوا بعد؟

– هل يمكن الإصابة بالمرض التناسلى من مرحاض عام؟

(وبالمثل من المناشف أو الفوط أو الأوانى الخزفية، إلخ)

– ما هو العلاج الحديث للأمراض التناسلية؟

– هل المرض التناسلى وراثى؟

– هل يمكن أن يصاب الرجل بالمرض التناسلى عن طريق الاتصال الجنسى بامرأة أثناء الحيض؟ (ملحوظة: هذا خطأ شائع).

– هل يمكن أن يصاب الطبيب بالعدوى أثناء فحص الناس؟

– إذا كان شخص مصابا بالمرض التناسلى فى مراحله الأخيرة وتقرر عدم قابليته للشفاء، ألا ينبغى تعقيمه؟

– هل يمكن أن تنقله إليك بنت تجلس إلى جوارك أثناء العمل؟

(الشبان)

– ما هى القرحة الرخوة؟

– كيف نشأت الأمراض التناسلية؟

– كم يستغرق علاجها من الوقت؟

– هل تنتقل عدواها بالتقبيل؟

– كيف تعرف الأعراض؟

– ما متوسط عمر الميكروب خارج الجسم؟

– إلى أى حدٍ يرجى الشفاء من ذلك المرض؟

– هل يفحص دم من يعطون دماءهم (فى عمليات نقل الدم) للتأكد من عدم تلوثها؟

– هل تعد المصانع مسئولة بأية حال عن نشر هذا المرض عن طريق لمس المصابين بعض الأشياء التى يلزم أن يتداولها فرد بعد آخر فى أثناء العمليات الصناعية؟

ولسوف يتبين سريعا من يحاضر فى هذه الموضوعات، عن طريق هذه الأسئلة، نوع الفكرة السائدة – باستثناء حالات قليلة – ومؤداها أن هناك مرضا تناسليا (واحدا) لا أمراضا تناسلية مختلفة. ولذا يتحتم على المحاضر أن يوضح هذه النقطة عند الإجابة عن الأسئلة المرة بعد المرة، حتى ولو كان قد أشار بصريح العبارة إلى اختلاف الجراثيم المسببة للزهرى عن تلك التى تسبب مرض السيلان. كما تبين هذه الأسئلة أيضا أن الإجابة الوحيدة المكنة فى كثير من الحالات – إلا بالنسبة للأخصائيين – هى الاعتراف صراحة بالجهل. (هذا مع العلم بأن عدد أمثال هذه الحالات يقل بطبيعة الحال كلما زادت خبرة المحاضر).

تأثير الصحافة

إن المقالات التى تنشرها مجلات الجماهير وجرائدهم عن مثل هذه الموضوعات وما يتصل بها تستثير الكثير من الأسئلة. ومن هذه أسئلة تتصل بالتوالد البكرى والتلقيح الصناعى، ومن الضرورى – فى هذه الأحوال – أن تتحقق من المقصود بالسؤال تماما قبل الإدلاء بالجواب. وإليك بعض الأسئلة الأنموذجية والأجوبة المقترحة للرد عليها:

س – هل يمكن أن يولد طفل دون أن تخصب البيضة؟ (شاب)

جـ – يحدث هذا بشكل طبيعى فى حالة بعض الحيوانات، وفى حالات أخرى (مثل الضفدعة والأرنب) تمكن العلماء من إنماء البيضة إلى حيوان صغير دون الاستعانة بحيوان منوى؛ ولكن للآن لم يتمكن أى عالم من إنماء بيضة لإنسان بهذه الطريقة.

س – هل يمكن أن يحدث الحمل بغير الاتصال الجنسى، كما ذكرت الجرائد حديثا عن إحدى الحالات؟ (شابة).

جـ – نعم من الممكن أن يحدث هذا إذا وصل الحيوان المنوى إلى البيضة بوسيلة أخرى. ومنذ سنوات عمد بعض أصحاب الماشية إلى جمع منى الثيران القوية ونقله إلى مهبل البقرة، وقد نتج عن هذا العمل عجول عادية فى حالة صحية حسنة. ومن الممكن أن يحدث هذا فى

حالة الإنسان إذا تعذر الاتصال الجنسى لسبب ما. وقد اتبعت هذه الطريقة على نطاق كبير فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، كما بدأ استخدامها فى إنجلترا[1].

س - لقد كثر الحديث عن أطفال أنابيب الاختبار، فهل يمكن إنجاب أطفال بهذه الطريقة - أى بواسطة جهاز شبيه بجسم الأم - إذا وضعت البيضة مع الحيوان المنوى فى ظروف مشابهة لظروف الجماع؟ (شابة)

جـ - لقد حدث تقدم واسع الخطى فى إنماء الأنسجة الحيوانية فى المعمل، وربما أمكن تحقيق ذلك فى المستقبل البعيد، ولكن من المؤكد أنه لم يحدث حتى الآن.

والصحف - بما تنشره من أخبار - مسئولية أيضا عن الكثير من الأسئلة الخاصة بتحول الجنس، والخنوثة، والانحراف الجنسى. ومن أمثلة ذلك ما يلى:

- كيف يحدث تحول الجنس؟ (شابة)

- لماذا يحدث تغير فى الجنس عند بعض الناس؟ لقد قرأت عن شخص حدث له هذا فى سن الثلاثين؟ (شاب)

- ما السبب فى ولادة طفل يجمع بين الجنسين؟ (شابة)

- ما المقصود بالقول أن رجلا تصرف تصرفا شائنا مع آخر؟ (شاب)

عند الإجابة عن هذا الضرب من الأسئلة التى توحى بها قراءة الصحف يحسن أولا أن نبين أن أخبار الجرائد ليست أخبارا علمية، فلا يصح الركون إليها دائما بغير المزيد من البحث والاستقصاء. وبعد هذا التحذير يمكن أن يقوم المرء بالإدلاء بالأجوبة التى تنصب على الحقائق.

الجهل بالمصطلحات ومعانى الكلمات

كثيرا ما يقال إن شباب اليوم واسع المعرفة قد حنكته الخبرة، لهذا يدهش الكبار أحيانا عندما يجدون من أسئلة الشباب ما يدل على الجهل التام بمعنى بعض الكلمات ذات المضمون الجنسى. ومن أمثلة هذه الأسئلة ما يلى:

- ما معنى (مومس) ؟

- ما هى بيوت الهوى؟

- ما هى (السوأة) وأين توجد؟

مثله هذه الأسئلة يمكن أن يجاب عنها بسهولة، ولكن يجب أن يكون المرء مهيأ للقنابل التى يلقيها أحد السائلين على حين غرة وفى براءة تامة قائلا:

---

(١) ولكن هذه الطريقة محرمة فى مصر إذ لا يقرها الدين، كما أن نقابة الأطباء لا تسمح بها.

– ما معنى «..»؟

وهذه الطلقة قد تكون أى كلمة أو تعبير جنسى من تلك التى ترى أحيانا مكتوبة على الجدران ولكنها لا تستعمل فى المجتمعات المهذبة بنوع خاص. وخبرة المؤلف تدل على أن مثل هذه الأسئلة لا تلقى مطلقا إلا بقصد برىء، وهذا لا يمنع مع الأسف من حرج الموقف إلى حد ما بالنسبة للمستمعين إن لم يكن للمحاضر أيضا. من أجل ذلك يتحتم على المحاضر أن يواجه الموقف دون امتعاض فلا يظهر الاستياء أو الدهشة ويتحرى الأمانة فى الإجابة. وقد يكون ذلك بالأسلوب التالى:

– نحن لا نستعمل هذه الكلمة عادة فى المجتمع. ولكن يضطر بعض الناس إلى استعمالها لأنهم لا يعرفون غيرها. ولابد أن نتذكر أن الفرصة لا تتاح لكل فرد كى يتعلم المصطلحات العلمية من والديه أو مدرسيه أو بالاستماع إلى المحاضرات على نحو ما نفعل فى اجتماعنا هذا. إن هذه الكلمة لها نفس معنى كلمة (يجامع، قضيب، خصية، مهبل، إلخ) ولكنك بالطبع لن تحتاج إلى استعمالها فى المستقبل لأنك تعرف الآن الكلمة العلمية الصحيحة.

ومما يشبه هذا الضرب من الأسئلة إلى حد ما تلك الأسئلة التى لا يذكر فيها من يسأل كلمة أو تعبيرا معينا وإنما يرمى من وراء سؤاله إلى معرفة الاسم الصحيح. ومن ذلك سؤال الفتاة التى قالت:

– ماذا يسمى الناس العملية التى يدخل بها الرجل المنى فى المرأة؟

فقد كانت على الأرجح تسعى إلى معرفة تلك الكلمة غير المهذبة التى سمعتها فى بعض الأحيان. ويمكن للمحاضر أن يوضح المسألة تماما باستخدام الكلمة المقصودة فعلا، ولكن المسألة بوجه عام – تحتاج إلى اللياقة. وعليه فقد يكون أفضل ما يمكن أن يقال فى هذا الموقف هو:

– لقد ذكرت فى محاضراتى أن التعبير الصحيح هو «الجماع» أو «التزاوج» أو «النكاح» أو «الاتصال الجنسى»، ولكن الناس يستعملون كلمات أخرى، فإذا كنت قد سمعت أية كلمة أخرى ولست واثقة من معناها، تعالى بعد برهة لنتحدث فى الموضوع، وسوف أوضح لك الأمر.

ولن تقبل هذه الدعوة دائما، ولكنها تقبل فى بعض الأحيان، وفى المحادثة الخاصة يستطيع المرء أن يكون أكثر انطلاقا مما تدعو إليه الحكمة فى الحديث العام.

ليست المعرفة قصدنا الوحيد

برغم عنوان هذا الفصل ينبغى أن يكون واضحا الآن أن الأسئلة الخاصة بالجنس لا تستهدف المعرفة فقط. ولو أن الأمر كذلك لما كان المربى بحاجة إلى مؤهلات خاصة غير

ما تحتويه دائرة المعارف. ولكن أصحاب الأسئلة ربما كانوا فى الواقع يتطلعون إلى استعادة الاستقرار الوجدانى؛ ولربما كانوا يسعون بأسئلتهم إلى التحرر من المخاوف والقلق، أو يرمون إلى إفساح المجال أمامهم كى يصححوا الأفكار الخاطئة أو التصورات غير السليمة؛ أو لعلهم يتطلبون التأكد من حقائق تشككوا فى أمرها طويلا ولكنهم عافوها من الناحية الوجدانية، ولعلهم يلتمسون الإرشاد فى مسائل السلوك.

وهذا ما يجعل إجابة السؤال أكثر صعوبة. والإجابة أفعل أثرا وثمرا للأبد. فلابد دائما من أن يتعمق المعلم أو المحاضر إلى أبعد من السطح الظاهرى للسؤال محاولا تقدير الحالة الوجدانية للسائل، وأن يسائل نفسه: «هل أقول الحقائق سافرة أم أخفف من حدتها نوعا؟» «هل أجعل هدفى الأساسى إعادة الثقة إلى نفس السائل، ثم أجيب عن الحقائق بالتفصيل بعد ذلك؟» «هل من الحكمة بالنسبة للحالة الذهنية للسائل أن أصدمه بالحقيقة السافرة فى الإجابة عن سؤاله، أو أن حالته تستدعى أن أعطيه أقل كمية من المعلومات؟» «إلى أى حد يجدر بى أن أتعرض للقيم الخلقية والاجتماعية للسؤال؟». هذه الأسئلة وأمثالها يجب أن تكون حاضرة فى الذهن دائما، وأن يتوقف على الجواب عنها ما يقال ردا على السائلين.

وعلى ذلك فالسؤال الواحد فى عشرة مواقف مختلفة يتطلب عشر طرق مختلفة للإجابة. وإذا كان علينا أن نراعى اشتراك الإجابات فى صفة خلوها من الزيف والأكاذيب فإن علينا أن نتدبر اختلافها فى مدى ما تحويه من صدق. ويستطيع المرء أن يفيد كثيرا من الخبرة، إلا أن الخبرة مدرسة باهظة التكاليف ويمكن أن نخفض تكاليفها كثيرا بالتفكير والدراسة السابقة.